ديوان الشبيبي

عنيت بنشره

جمعيّة الرابطة العلميّة الأدبيّة

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩هـ — ١٩٤٠م

ديوان الشبيبي

عنيت بنشره

جمعيّة الرابطة العلميّة الأدبيّة

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م



صاحب المعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طُولِبتُ خلالَ هذه السنوات الأخيرة كثيراً بنشر هذا الديوان وكان فيمن فاتحنى بنشره وأرادنى على الإذن له بذلك مجلس إدارة جمعيّة الرابطة العلمية الأدبية ، فلم يسعنى إلّا إجابةُ طلبهم ، بيد أنى لم أجد مناصاً من التلميح إلى علاقة هذا الديوان بعصره وحوادثه فى العراق ، بل إلى صلته بشئون الحياة فى ذلك العصر ، ثم من إيضاح بعض نواحيه المجهولة ، وهى نواح لا يتيسّر العلم بها إلّا منْ قِبلِ صاحبه ؛ وكذلك لم أجد بدّاً من الإشارة إلى الغرض الذى يُستَهْدَف ، أو ينبغى أُستهدافه من قِبَل الشاعر فى شعره ؛ وهذا هو كلّ ما تضمّنته هذه المقدّمة الموجَزة .

تألّفتْ هذه المجموعة الشعريّةُ خلالَ مدّةٍ لا تقلّ عن الثلاثين سنة ، كان الشطر الأول منها حافلا بالحوادث الجسيمة ، اتجه الناس فيه اتجاها جديداً لم يَسبِق له مثيل ، ومالوا إلى الاهتمام بمظاهر التقدّم والرقىّ على اختلافها ، وذلك بمجرد إعـلان الدستور فى بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ هـ = سنة ١٩٠٨ م ، وقد امتاز العصر المذكور بكونه

عصرَ اليَقَظة فى الفكر والشعور ؛ تَفنَّنَ الخيالُ العربىّ فيه فى التعبير عن هواجس النفوس الطامحة إلى مجاراة الأمم الناهضة ، الراغبة فى التخلّص من عوامل الضعف والأنحلال ، وحاول الأدب أن يمثّل الحياة ، وذلك فى مختلف صُوَرِها الضاحكة والباكية ، وشتّى مظاهرِها المُشرِقة أو الداجية .

وما هذه المجموعة الشعريّة فى الحقيقة إلا من وحى تلك الأيام إلى نهاية الحرب العامّة ، بل إلى ما بعدها بعدّة سنين ؛ وليس لى قطّ أن أُبدِيَ بشأنها رأياً من الآراء سواءٌ من حيث قيمتها الفنّية ، أم من جهة مدى تأثيرها أم مبلغ جدواها إن قدّر لها شىء من الجَدْوى أو التأثير ؛ وغاية ما أسمح به لنفسى من القول إن الديوان لم يكن نابياً عن بيئته ، بل كان على الأرجح ملائمًا للزمان والمكان الذى نُظِم فيه ، كما أنّ أغراضه لم تكن سياسيّة قطّ ، وإنما كانت فى جملتها أغراضاً إصلاحيّة ولعلّ طبيعة البلاد وما ألمّ بها من أحداث ، أوما أجتازته من أزمات — وفيها ما يثير الشّجَن والألمَ المُمِضّ — أكبر مصادر الإلهام فى هذا الديوان ، ولهذا السبب — على ما أعلم — أقبلت صحُفُنا المحترمة ومحافلُ أدبنا على نشره أو روايته فى فجر تلك النهضة . ولهذه الصحف العربية الكريمة — ما ذكر منها فى الديوان وما لم يُذكر — فضلٌ لا يُنكر فى هذا الباب .

هذا ومما يحسن إثباته فى باب علاقة هذا الديوان ببيئته وعلاقة

البيئة به ، ورابطته بالحياة فى زمانه ومكانه ما كان يعانيه العراق — وذلك فى أوّل عهد الناظم بالنظم — من عللٍ وأوصاب اُجتماعيّة أو سياسية أدّت إلى فساد نُظم الحياة فيه ، وحرمان أكثر أرجائه من نعمة الرّفاه والطمأنينة ، وحسبنا من هذه العلل اُستفحال الجمود واُنتشار الفوضى ، وسيطرةُ الأوهام ، وذلك فى أواخر عهدنا بالدولة العثمانية ، وهو العهد الذى سبق نشُوبَ الحرب العامّة الماضية بمدّة غيرِ قصيرة .

كنا فى رَهْطٍ من الشباب العراقيّين وغيرِهم نفكّر تارة فى رسم أهدافنا ، وطوراً فى الوسائل التى تُوصلنا إليها . ولم نكن نستهدِف فى الواقع إلا الحياة فى ظلّ نظام تحترم فيه الحقوق والحريّات ، وتُفلِح فى كنَفه المساعى ، ويتيسّر النهوض بالبلاد ؛ كما كان فى مقدّمة العَقبات الشاقّة التى تواجهنا دائما اُستفحالُ الجمود ، وفقدانُ الشعور بالواجب ، خصوصاً لدى المسئولين وعدم اكتراثهم أو مبالاتهم بالأخطار ، فتضطرم النفوس ، وتثور الأرواح المتمرّدة ، وتتضاعف الهواجس والآلام ، ثم تفيض بهذه الصور الشعريّة كما يَفِيضُ القَلِيبُ الملآن .

ولا ريب أن رسالةَ الشاعر فيما نحن فيه لا تعدو صفة الدّواء بعد تشخيص الداء ، ولا تعدل عن اُستخراج العِظة البالغة من سُنَن الاجتماع وعِبرِ التاريخ ، ولا تتعدّى الإشادة بقِيَم الفضائل ومكارم

الأخلاق ، فاذا كانت للشاعر جولة فى وجه من وجوه الإصلاح ، أو ناحيةٍ من نواحى الخير ، وإذا وَمَضَتْ فى فنّه شُعْلةٌ تنير السُّبُل الحالكة ، أو عَلَتْ صرخةٌ تثير العزائم الخامدة ، أو سرتْ نَفحةٌ تُحيي الرِّمَمَ البالية ، فقد أدّى الرسالة ، وهى هدفه الأقصى ، وفيها عِوَضٌ عن كلّ فائت لمن عَشقَ فنّه ، أو أخلَصَ لمَثله الأعلى ، وإذا كانت الأخرى فليس الناظمُ بأوّل سارٍ غرّه القمر ، ثم مضى يتخبّط فى مَفاوِز الحياة .

سدد الله خطانا وتولانا بلطفه وتوفيقه أجمعين .



بغداد { ١ ذى الحجة سنة ١٣٥٨
{ ١١ كانون الثانى سنة ١٩٤٠

قرار مجلس جمعية الرابطة العلميّة الأدبيّة

ينص نظام جمعية الرابطة العلمية الأدبية على السعى فى نشر خيرة المؤلفات العلمية والآثار الأدبية ، وبعد أن بحث مجلس إدارة هذه الجمعية مراراً فى الطريقة المثلى للقيام بما فرضه النظام المذكور من واجبات قرر فى جلسته المنعقدة فى ١٢ ذى القعدة ١٣٥٥ ، الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٣٧ مخاطبة معالى السيد الأستاذ محمد رضا الشبيبي فى طبع ديوانه ، وكتب إليه فى أن يجيز له القيام بذلك ، فتفضل بإجابة طلبنا ، وأجاز لنا طبع الديوان على نسخته الأصلية المخطوطة ، وذلك بعد بذل الوسع فى التنقيب ومراجعة المظان الأخرى ، ومن ثم لم نأل جهداً فى اتخاذ الوسائل الممكنة لطبع الديوان طبعاً مستوفياً شروط الاتقان . وقد تيسر ذلك بحمد الله ، وجل ما نرمى إليه أن تقوم جمعية الرابطة العلمية الأدبيـة بواجباتها والتزاماتها فى سبيل نشر الأدب وخدمة لغة العرب ، ولا يسعنا فى هذا الصدد إلا أن نثنى على جهود الأستاذ الثبت الشيخ أحمد الزين الذى وقف على ضبط الديوان وتصحيحه أثناء طبعه ، وقام فى هذا السبيل بعمل لا ينجزه إلا من تدرع بالصبر وطول الأناة ، وكذلك على إدارة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، راجين منه جل شأنه أن يأخذ بيدنا جميعاً إلى ما فيه نشر راية العلم والأدب ، إنه ولى التوفيق .

النجف { ١ ذى القعدة سنة ١٣٥٨
١١ كانون الأول سنة ١٩٣٩

مجلس إدارة جمعية الرابطة
العلمية الأدبية

الحماسة

وهو باب ينتظم ما له من القصائد والمقطّعات التى اُصطُلِح على تسميتها :

« بالقصائد الوطنية »

في سبيل الشرق :

نُشرت لأول مرّة في مجلة الزهور المصرية سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م وقد توقَّعَ فيها تمزّق شمل الدولة العثمانيّة وانسلاخَ الأقطار العربية عنها وذلك قبل الحرب العامة بعدة سنوات

لَمْ يَبْقَ لي إلاّ الشَّبابُ وإنّه ... دِيباجَةٌ ضَمِنَ الاسَى إخْلاقَهَا
نَزَلَتْ بِجِيرَتِيَ الهُمومُ فلَمْ تُطَقْ ... حتّى نَزَلْنَ بكاهِلِي فأَطاقَهَا
وكَرِهْتُهَا ومِنَ العَجائِبِ أنّني ... لِشَديدِ أُلْفَتِها كَرِهْتُ فِراقَها
أَشْتاقُ أَطَّرِحُ الهُمُومَ ويَقْتَضِي ... ظَمَإي إلى الآلامِ أَنْ أَشْتاقَهَا
وَلَرُبّما عَرَفَ المُحِبُّونَ التّي ... تَجْنِي الشَّقاءَ فأَصْبَحوا عُشّاقَهَا
شَأْنَ الفَراشَةِ واللّهِيبِ فإنّها ... تَغْشاهُ وَهْوَ مُسَبِّبٌ إحْراقَها
يَشْكُو الصَّبابَةَ كلَّ يَوْمٍ مُدَّعٍ ... وأَحَقُّنا دَعْوَى لها مَن ذاقَها
لَوْ أَنْصَفَتْ تلكَ الحَمامَةُ لَوْعَتِي ... نَضَتِ الخِضابَ ، وَمَزَّقَتْ أَطْواقَهَا
يا هٰذِهِ حتّى الغُصونُ لِمَا بِهَا ... نَثَرَتْ عَلَى وَجْهِ الثَّرى أَوْراقَهَا
مِثْل التّي لَزِمَ الخُفُوقُ جَناحَها ... أَصْبَحْتُ مُرْتَكِضَ الحَشا خَفّاقَهَا
داءٌ تَحاماهُ الطّبيبُ وعِلَّةٌ ... طَلَبَ العَليلُ فلَم يَجِدْ إفْراقَهَا

* * *

مَرَّتْ بنا الأُمَمُ الطَّلِيقةُ وانثنَتْ ... أُخْرَى تُعالِـجِ أَسْرَها وَوَثاقَها
هٰذِي الجيادُ فمَنْ تَعاطَى شَأْوَهَا ... يا شَرْقُ فيكَ؟ ومَن أَرادَ سِباقَها؟
يا مَشْرِقَ الشَّمْسِ المُنِيرةِ إنّهـا ... — وأَبيكَ — شَمْسُكَ فارقَتْ إشْراقَها
أمّا ليَالِيـــكَ التِى قد أَقْمَرَتْ ... فلقد طوَتْ لكَ مَحْوَها ومُحاقَها
فاقَتْ وبَذّتْ أُمّةٌ غَرْبِيَّــةٌ ... مَنْ بَذَّها فى المَشْرِقَيْنِ، وَفاقَها
وإذا أراد اللهُ رَقْدَةَ أُمَّـــةٍ ... — حتّى تَضيعَ — أَضاعَها أَخْلاقَها
مَلَكَ الضَّلالُ زِمامَها فإذا حَبَتْ ... أَو أَمْسَكَتْ سَبَبَ المَعالِى عاقَها
رَأَتِ العَدالَةَ لا تَرُوقُ لِعَيْنِها ... فتَلَمَّسَتْ فى اللّيْلِ ظُلْمًا راقَها
عَجِلَتْ عَلَى البَلْوَى فساقَتْ نَفْسَها ... لِلْمَوْتِ أَو عَجِلَ البَلاءُ فساقَها
ما عُذْرُ طائِفَةٍ أَضاعَتْ مِصْرَها ... أَن لا تُضِـــيعَ شَآمَها وعِراقَها
بَرَزَتْ وقابَلَها الزَّمانُ بسَيْفِه ... فأَطَنَّ ساعِدَها وعَرْقَبَ ساقَها
أينَ الّذينَ إذا اكْفَهَرَّتْ أَوْجُهٌ ... هَبُّوا لنا طُلَقَا الوُجُوهِ عِتاقَها
للهِ أَطْماعٌ أَصَـــابَتْ خُلْفَها ... فيهِمْ، وآمالٌ رَأَتْ إخفـــاقَها
نَظَرَتْ إلى الحُلْمِ الجَميلِ فهاجَها ... وَرَنَتْ إلى الطَّيْفِ المُلِمِّ فَشاقَها
أَوَما تَشُوقُكَ يا خَيالُ بَقِيّـــةٌ ... فى أَنْفُسٍ لكَ كابَدَتْ أَشْواقَها؟

في العراق:

يتذمر فيها من سير الشئون العامّة فى العراق ، و يشير إلى الفتَن والحروب الداخلية و إلى خيبــة الآمال التى عُقِدت فى العراق على إعلان الدستور من قبل الأتراك ، وذلك سنة ١٣٣١هـ ١٩١٢ م ونشرتها صحف سوريا ومصر إذ ذاك

أَرَى مُهْجَتِي بل ماءَ خَدِّكَ ذابَا مَعاً فهوَ لُطْفاً ، وهىَ فيكَ عَذابَا

دَعا فاجابَ الوَجْدُ قَلْبِي فمالَه دَعاكَ فكان الصَّدُّ مِنْكَ جَوابَا

نَهَيْتُ فُؤادى عن هَواكَ فما انْتَهَى ونَهْنَهْتُهُ عن صَبْوَةٍ فتَصابَى

وعاتَبنِي أَهْلِي فقُلْتُ : أُحِبُّه وإنْ لَمْ يَزِدْ إلّا قِلًى وعِتابَا

تغَابَيْتَ يا قَلْبِي وليس بنافِعٍ حِذارَ الهوَى يا قَلْبُ أَنْ تتَغابَى

ضَعُفْتَ على بَذْرٍ توَطَّنَ كِلّةً وقد كُنْتَ ضِرْغاماً تَقَيَّلَ غابا

تعَرَّضَ فاستَهْواكَ ، فاستَهْدَفَ الحَشا فأَرْسَلَ ماضِى سَهْمِه فأَصابا

* * *

جَنَيْتُ شَبابِي فى بِلادِى كما جَنَتْ على القَلْبِ أَهْوالُ البِلادِ فَشابا

أَلَنْتُ بها جَنْبَ الخُطوبِ شَدائدًا وساهَلْتُ وَقْعَ الحادِثاتِ صِعابا

فثقَّفْنَ أَضْلاعى وكُنَّ حَوانِيًا　　وعاجَمْنَ أَعْوادِى وكُنَّ صِلابا

وصاحَبْت مَنْ لا يَفتأون أعادِيًا　　وراضَيْتُ من لا يَبْرَحونَ غِضابا

بأىِّ كِتابٍ أَمْ بأَيّةِ سُـــنَّةٍ　　يُبيحون ظُلْمى سُـــنّةً وكِتابا ؟

إِلَى مَ أَجُوبُ القُطْرَ سالَ جهالةً　　وماجَ تقاليدًا وفاضَ خَرابا ؟

تَداعَتْ رِحالِى أَوْبَةً وانصِرافَةً　　وكَلَّتْ رِكابى جَيْئَـــةً وذَهابا ؟

سَمِعْتُ به صَوْتَ الرُّقِيِّ وَأَوْجَسَتْ　　به النَّفْسُ مِن أَعْلَى (فَرُوقَ) خِطابا

أَخَذْناه تَغْريداً فرَدَّ به البُكا　　على إِثْرِ أَرْزاء العِـــراقِ نُعابا

فيالَكَ صَوْتًا كان طائرُ يُمْنِهِ　　يُرَدِّدُ وَرْقاءً فردَّ غُـــرابا

هُناكَ تَأَمَّلْتُ الدِّيارَ مَواثِلاً　　تَغَوَّرْنَ أَنْشازًا وضِقْنَ رِحابا

فأَرْسَلْتُ فيهنَّ الأَمانى فأَخْفَقَتْ　　وسَرَّحْتُ فيهنّ الرَّجاءَ نخابا

وَقفْتُ عليها أَنْـكُتُ الأَرْضَ واجِمًا　　وأَضْرِبُ فى خَدِّ الصَّعِيد تُرابا

أُصَـــعِّدُ أَنفاسِي بِهِنَّ لَوافِحًا　　وأَنْدُبُ أَجفانى لهنّ سَحابا

فلَمْ أَتَنَفَّسْ زَفْرَةً بل حُشاشةً　　ولَمْ أَبْكِ دَمْعًا بل بَكَيْتُ شَبابا

خَلِيلَىَّ لا ذُقْتُ الشَّرابَ فإِنّنى　　تَزَوَّدْتُ مِن ماءِ الشُّئُونِ شَرابا

نَشَدْتُــكُما هل تَمْسَحانِ مَدامِعِى　　لِتتَّخِذا ممّا نَضَحْنَ خِضـــابا

فقُولاَ لبِاناتِ العِراقِ الّتى ذَوَتْ　　وصَوَّحَ منهنّ العِراقُ جَنابا

سأشْدُو عَساها أنْ تعُود نَواضِرًا ... وأَبْكِي عَساها أن تُرَدَّ رِطابا
فكم خَفقَتْ فيها الصَّبا فتأَرَّجتْ ... ولاعَبَها سارِى النَّسيمِ فطابا

***

جَرَى الماءُ شُهْدًا فى البِلادِ فمالَه ... جَرَى بأَخاسِيفِ الجَزِيرَةِ صابَا
تَسيَّبَ لَمْ يَجْمَحْ فكان مُصِيبةً ... وعَلَّلَ لَمْ يَنْقَعْ فكان سَرابا
جَداوِل لَمْ تَشْفِ الغَليلَ صَوارِدًا ... ولَمْ تُرْوِ ظَمْآنَ الفُؤَادِ عِذابا
لئن لَفَظَتْ ماءَ الفُراتِ رُبُوعُهُ ... فقد سِلْنَ مِن ماءِ السُّيُوفِ شِعابا
ألا هل حياةٌ فى العِراقَيْنِ لَمْ تَكُنْ ... طِعانًا يُقفِّيهِ الرَّدَى وضِرابا ؟
فإِنِّىَ ما اُسْتَوْضَحْتُ إلاّ رَمِيَّةً ... لَقًى رَكَدَتْ فَوْقَ التُّرابِ تُرابا
هَدَى اللهُ هاتِيكَ القُلُوبَ الَّتى أبَتْ ... على البِيضِ إلّا أن تَسِيلَ رِقابا
وأَقْرَبَ تِلْكَ المُرْهَفاتِ الَّتى أبَتْ ... على الهامِ إلاّ أَن يَكُنَّ قِرابا
وقَصَّفَ أَعْوادَ الوَشِيجِ فلا انْثَنَتْ ... لها صَعْدَةٌ أو لا اطَّرَدْنَ كِعابا
وقَيَّدَ تِلْكَ الضّامِراتِ نَزائِعًا ... وعَرْقَبَ تلك السّابِقاتِ عِرابا
فَلاَ زادَ إلاّ أَنْ يكون غَنِيمَةً ... ولا مالَ إلاّ أَنْ يكون نِهابا

***

سأَلْتُكِ آفاقَ السَّماءِ متى اُعْتَدَى ... عِداؤُكِ لِلْأَرْضِ العَرِيضَةِ دابا ؟

أَفى كلِّ يومٍ تَسْتَفِزِّينَ ثاقِبًا ... إلينا وتَسْتَعْدِينَ منكِ شِهابا ؟
ذواتَ الذُّنابَى كم قرَعْتِ بِهَوْلِها ... وإن كُنّ سِلْمًا أرْؤُسًا وذُنابَى
فشَمْسُكِ إن تُشْرِقْ بَخِلْتِ فأَجْفَلَتْ ... وبَدْرُكِ إنْ يَطْلعْ مَنَنْتِ فغابا
كأنّ ذُكاءَ مِنْ أَسِنَّةِ نُورِها ... تُصَوِّبُ نَحْوَ العالَمِين حِرابا
كأنّ البَرايا أَحْنَقَتْها فأَزْبَدَتْ ... وأَرْسَلَتِ النُّورَ النَّقِيَّ لُعابا
كأنّ شُعاعَ الشَّمْسِ غَصَّ به الفَضا ... فزَمْجَرَ آذِيًّا ، وماجَ عُبابا
ولو لَمْ تكُ الأَبْعادُ بَحْرًا لَما طَفَتْ ... عليها الكُراتُ الناصِعاتُ حَبابا

عاذل وعاذر :

في الغرض السابق ، ونشرتها جريدة المقتبس في الشام سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م

إذا شِئْتُما أَنْ تسْعِداه غَرِيمَا — فلا تُجْمِعَا أَنْ تعْذُلاَ ، وتَلُومَا
فهل تَسْتَطيعانِ احتمالِيَ نِبْتَةً — تَشُوكُ وتُجْنَى وَرْدَةً وصَرِيما ؟
وكيف أُدارِي منكما بمقاصِدِي — نَصِيرا يَرَى رَأْيِي بها وخَصِيما
وأَجْدَرُ بي أن تقْعُدا لِرَوِيَّةٍ — ولا تَطْلُبا لي مُقْعِدًا ومُقِيما
فإمَّا تَعُدّانِي مُصِيبا فلائِمًا — سِواىَ ، وإمّا مُخْطِئًا فَمَلُوما
سأَلْتُكما لا تَحْمِلا هَمَّ واجِدٍ — يُصَعِّدُ أَنفاسَ الحَياةِ هُمُوما
ولا تُذْهِبا من حِلْمِ من لَمْ يَجِد له — بِبُرْدَيْكُما ثَبْتَ الفُؤاد حَلِيما
كِلانِي أُكابِدْ في العِراقِ بَلِيَّةً — ولَيْلًا بأَرْجاءِ العِراقِ بَهِيما
وأَسْوَدَ غِرْبِيبًا تَهاوَى نُجُومُه — فَيَهْوِي به عِقْدُ الدموعِ نُجوما
فبالله يا هذا الفَراغُ الّذى أَرَى — مَتَى خَرَصَتْكَ الواهِماتُ أَدِيما ؟
ويا بَدْرُ قل لي كيف نَجْواكَ ؟ إنّني — تَخِذْتُكَ يا بَدْرَ السَّماءِ نَدِيما
ويا أَثَلاتِ القاعِ رَوَّعَها الظَّما — متى يَتَجَلَّى رَوْضُكُنّ وَسِيما ؟

رَعا كُنَّ صَفْوُ المـاءِ يَسْفَحُ فِضَّةً وطَلْقُ الصَّبا السارِى يَفُوح شَميما
تُذَكِّرُنِي عَهْدَ الغَمِيمِ وحاجِرٍ سَـــقَتْهُ الغَوادِى حاجِرًا وغَمِيما
إلى مَ وكَم يادَهْرُ إن قُلْتُ لِلْمُنَى رِدِى النُّجْحَ أَصْدَرْتَ الأَمانِىَ هِيما
أُعَلِّلُ نَفْسِى أن أَرَى القَوْمَ أَدْلَجُوا وَجِيفاً إلى غاياتِهِمْ ورَسِـــيما
ولَمَّا تَبَيَّنْتُ الزَّمانَ وأَهْـــلَه ضَرَبْتُ بكَفِّى حَيْرَةً ووُجوما
ظَنَنْتُ مَشُوباً من رَأَيْتُ مُخَلَّصا وخِلْتُ مُصاباً مَن وَجَدْتُ سَلِيما
ألا نَظْرَةٌ للدّارجاتِ عُهودُهُمْ لِنَشْهَدَ آداباً لهم وعُـــلوما
هَلُمَّا نُحَيِّيهمْ رُفاتاً رَميمـــةً ولكنْ مَتى حَيّا الرَّميمُ رَميما
نُشاهِـــدُ أرواحًا لهم أَبَدِيّةً وَنَنْدُبُ أَرْواحا لنا وجُسوما
متى أيّها السُّفْعُ الوُجُوهِ أرَى لـكُمْ وُجوهًا أفاضت نَضْرَةً ونَعيما
تُشِعُّ حَياةً غَضّـــــةً وطَلاقَةً وتشبع نُورًا رَيِّقًا ونَسِـــيما
ويا نُوَّمًا عن عالَمٍ لَمَ تَنَمْ به خُطوبٌ ولَمَ تَرْفُقْ بنا لِتُنِيما
سُباتَ رُقُودِ الـكَهْفِ أَخْيَيْتُمُوهُمُ وَجَـــدْتُمُ كَهْفًا لهمْ ورَقيما
فَمُوتوا ظِماءً حَلَّأَتْـكُمْ جُدُودُكُمْ عن الوِرْدِ إلّا أن يَكون حَميما
وما المَوْتُ إلا صِحَّةٌ مَعْنَوِيّةٌ لمن شاءَ أَنْ يقْضِى الحَياةَ سَقيما
ولو أَنّـكُم فى الواجبَينِ اتّبَعْتُمُ هُدَى اثْنَيْنِ كانَا شارِعًا وحَـكيما

لَسِرْتُمْ على نَجْدَىْ هُدًى وفضِيلةٍ وجُبْتُمْ حُزُونًا دُونَهَا وحُزُوما
فلَمَ أَرَ مِثْلَ الشـــارِعِينَ دِيانَةً أَشَعَّ أساريرًا وأَكْرَمَ خِيما
يَسُنُّونَ سَهْـلًا للهدايَةِ واضِحًا ونَهْجًا لتَخْفِيف البلاءِ قَوِيمـا
أما خَفَّفَ البَلْوَى (مُحَمَّدُ) هادِياً و(عيسى) و(موسى) داعِيًا وَكَلِيما
ولَمْ أَرَ مِثْلَ المُصْلِحِينَ تَأَثَّروا لهم مَقْصِدًا بالنائباتِ مَرُوما
أَشَدَّ على هَوْلِ المَبادِىءِ غَيْرَةً وَأَعْصَى على رَدِّ الجِماحِ شَكِيما

حُلوانُ بعد العراق :

اتفقت إثر إعلان الحرب العامة سـنة ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ م وكان فى بعثة عسكرية على حدود العراق الشرقية

وَلمَّا أَجزْناها إلى الشَّرقِ أَشْرَقتْ ... لِأعْيُنِنا بَعـدَ العِراقَيْنِ حُلْوانُ
تجافَتْ عن السَّهْلِ السَّوِىِّ وَأَصْبَحَتْ ... تُجَشِّمُها المَسْرَى شِعابٌ وَكُثْبانُ
وَهَبَّت لهـا غَرْبيَّـةٌ فتأَرَّجَتْ ... مِن البِيدِ إِذْ هَبَّتْ جُيُوبٌ وَأَرْدَانُ
وَهَلْ مُسْعِفِى بالقُرْبِ طُولُ تَقَلُّبِى ... «وَبَدْرَةُ» خَلْفِى «والجِبالُ» «وجَصَّانُ»
شَواهِقُ بالثَّلْجِ الـكَثِيفِ تَكَلَّلَتْ ... كما كَلَّلَتْ هامَ الجَبابِرِ تِيجانُ
فمنهـنَّ عالٍ مُشْمَخِرٌّ ودُونَه ... ومنهنّ كاسٍ بالنَّبـاتِ وَعُرْيانُ
كأنَّ رَواسِيَهـا مَدافِنُ شُـيِّدَتْ ... وقد دُفِنَتْ فيهـا قُرونٌ وأَزْمانُ
كأنَّ سُكُونَ المَوْتِ خَيَّمَ فَوْقَها ... ولولاه لم تُنْسَجْ من الثَّلْجِ أَكْفانُ
عَناصِرُها أَرْضِيَّةٌ غَـيْرَ أَنَّهـا ... عَناصِرُ تَأْبَى الانْحِلالَ وأَرْكانُ
مَسالِكُ ما فيهنَّ إِلَّا مُهَجِّرٌ ... وَإِلَّا فتًى بادِى الخَصاصَةِ طَيَّانُ
فيالَيْتَهـا كانت رُبًا عَرَبيَّـةً ... مُكَرَّمَةً منهنَّ «رَضْوَى» «وثَهْلانُ»
وَجَهَّلَنى فى الناس ثَمَّتَ أَنَّهـمْ ... أَناسِىُّ لَدَيْهَا الجَهْلُ فاشٍ وَذُكْرانُ

قَبِيلانِ تَسْخِيرَ البهائمِ سُخَّرًا فهُنَّ وَهُمْ فيها إِماءٌ وعُبْدان

***

تَقاذَفُنِى مِنْ عالَمٍ قد دَرَيْتُه عوالِمُ لا أَدْرِى بِهِنّ وأَكوانُ
نَوًى مَلأَتْ منَّا الفِجاجَ كأَنّنا عَبادِيدُ شَتَّى ، أَوْ شَرائِدُ شُذّانُ
رَكائِبُنا حَسْرَى : كَوابٍ ونُهَّضٌ ونحن طلاعُ الأرْضِ رَجْلَى ورُكْبانُ
إذا اتَّصَلَ النَّأْىُ المُشِتُّ تَقَطَّعَتْ هُناكَ من القُرْبَى حِبالٌ وأَقْرانُ
ولولا حُقوقٌ رَعْيُها لِىَ عادَةٌ لَكان لمُهْرِى أَيْنَما جالَ مَيْدانُ
فَفى كلِّ حَىٍّ عازِبٍ لِىَ مَعْشَرٌ وفى كلِّ فَجٍّ نازِحٍ لىَ أَوْكانُ
إلى جَنَّةٍ ما تَشْتَهِى النَّفسُ أَخرَجَتْ فَرَوْحٌ ، وَرَيْحانٌ ، وحُورٌ ، ووِلْدانُ
إلى إِرَمٍ ذاتِ العِمادِ أو التى بَناها وَسَوَّاها النبىُّ سُلَيْمانُ
وإِنِّىَ لا أَنْفَكُّ مِمَّنْ أُحِبُّهُ كأَنِّىَ مِنْ خَمْرِ أُدَّكارِيهِ نَشْوانُ
إذا ارْتَجَلَ الشادِى ، أو اعْتَلَّتِ الصَّبا أو اصْطَفَقَ الوادِى ، أو انْعَطَفَ البانُ

***

عَلَى الجَبَلِ الغَوّارِ فى الأَرْضِ أَصْلُهُ ذَهِلْتُ ذُهُولَ المَرْءِ رَوَّعَهُ الجانُ
فأَمْلَى ارْتِقائِيهِ عَلَىَّ فَضِيلَةً وحُكْمًا كأَنِّى (باقِلٌ) وهو (سَحْبانُ)
وأَشْرَبَ قَلْبِى رِقَّةً حِينَ أَنَّه صَفًا عَدِمَ الحِسَّ الرَّقيقَ وصَوَّانُ
وَأَوْهَمَنِى مِنْ هَيْبَةٍ فيه أَنَّه أخو سَوْرَةٍ جَمُّ التَّسَخُّطِ غَضْبانُ

تَعاظَمَ حَتّى صِرْتُ أشْعُرُ أَنَّه ... له ولما فيه على الأرْضِ سُلْطانُ
كأَنِّيَ موسى ذو العصا غيرَ أَنَّنى ... رَجَعْتُ وَمِقْباسى رَمادٌ ، وَدُخّانُ
ولما ارْتقى مُوسَى على الطُّورِ أَشْرَقَتْ ... مِن اللهِ أَنوارٌ عليه ونِيرانُ
نَبِيٌّ رَعَى النَّاسَ الذينَ أَصابَهُمْ ... جَدِيرِينَ لَوْ مِنْ دُونِهِمْ رُعِيَ الضّانُ

طلائع الحرب العامة :

نظمت فى مدينة بادوريا بالعراق فى ربيع الثانى سـنة ١٣٣٣ هـ وفق شباط سنة ١٩١٤ م ، وكان فى بعثة من المجاهدين العراقيين

طَلائِعُ يوم الوَعْدِ أنجزَتِ الوَعْدا ... وَأَذْهَلْنَ جيلًا ما أعادَ ولا أَبْدَى
مِن الغَرْبِ هَدَّتْ جانبَ الشَّرْقِ نَبْأَةٌ ... وفى الغَوْرِ صَوْتٌ مُوحِشٌ طَرَقَ النَّجْدَا
لَدُنْ أَضْحَت الدُّنْيَا مَكَرًّا ومَنْ بِها ... مِن الأُمَمِ الـكُبْرَى مُعَبَّأَةً جُنْدا
مُكَشِّرَةً شَوْهاءَ فَوْهاءَ أَنْشبَتْ ... بنا وَبأَهْلِ الأَرْضِ أنيابَها الدُّرْدَا
فكُنْتَ إِذا أَطْلَقْتَ طائرَ نَظْرَةٍ ... لنَـكْفِيَها أَحْشاءَنا اسْتَعَرَتْ وَقْدا
لَظًى نَضِجَتْ فيها الجُلودُ وعاذِرٌ ... بجاحِمِها أن يُنْضِجَ القَلْبَ لا الجِلْدا
فلا حَرُّها يُطْفا ولا هو يُتَّقَى ... ولا نارُها كانت سَلامًا ولا بَرْدا
هى الحَرْبُ ما شَبَّتْ أَداةٌ رَدِيئَةٌ ... وإِلْقاحُها فى غير مَنْفَعَةٍ أَرْدَى
مَظِنَّــةُ جُرْحٍ دَبَّرُوها لتَشْتَفِى ... فما نَجَعَ التَّدبيرُ فيها ولا أَجْدَى
إِلَى أَنْ بَدَتْ نَغَّارَةً ذاتَ قَرْحَةٍ ... فما وَجَدَ العَرَّافُ مِنْ نَـكْئِها بُدّا
وما زال فَتْلٌ فى الغَوَارِبِ والذُّرَا ... وما انفكَّ خَيْطُ الشَّرِّ يُلْحَمُ أو يُسْدَى
إِلى أن أَتَى ما ليس يُمْلَكُ دَفْعُهُ ... ولا يَسْتَطِيعُ الجالِبونَ له رَدَّا

خَرابٌ سَيَغْدُو الغَرْبُ مَهْدَ ظُهورِه كما كانَ للعمْرانِ قَبْلَئِذٍ مَهْدا
وما غايَةُ الغَبْراء إلّا خَرابُها إذا استَفْحَلَ العُمْرانُ وأُضّايقَتْ حَدّا
خَبَتْ غيرَ مُوراةٍ نُفوسٌ وما خَبَتْ بها الحَرْبُ إلّا أَنّها وَرِيَتْ زَنْدا
شَبابٌ مِن البيضِ الزّواهِرِ مالهمْ من العُمْرِ إلّا مَرُّ عِشْرِين أو إحْدَى
ومُرْدٌ ثَنَتْها الحَرْبُ شِيبًا بما جَنَتْ وشِيبٌ تَعاطَوْا خَوْضَ غَمْرتِها مُرْدا
تُحامِي ولا تُحْمَى وإن جَلَّ ما بِها وتَفْدِي أَكالِيلَ المُلوكِ ولا تُفْدَى
يُخافُ عليها أن تَحِيد وأن تَنِي وأن تَنْثَنِي لا أَنْ تَجُوعَ وأن تَصْدَى
وَيكْسُونَها مِن أَجْلِ نَزْعِ جُلودِها مُمَزَّقَةً سُحْقًا وبالِيَةً جُرْدا
كَأَنْ لم تَجِدْ أَينًا ولَمْ تَشْكُ غُلّةً ولَمْ تَضْطَرِمْ حَرًّا ولَمْ تَرْتَجِفْ بَرْدَا
كَتائِبُ شُهْبٌ كلّها مُسْتَطِيرةٌ مِن الشرّ بَرْقًا أَو مُجاجِلَةٌ رَعْدا
فَيالِقُ حِينَ اسْتُنْفِرَتْ مُسْتَجاشَةً مَشَتْ للرّدَى مَشْيَ القَطا الكُدْرِ أَوْ أَهْدَى
وَرَهْطٌ على آثارِ آخَرَ مُهْتَدٍ وَرَكْبٌ إلى مِنْهاجِ سابقِهِ يُحْدَى
فما أُحْصِيَتْ أَحْياؤُها وتَقَطَّرَتْ على الإِثْرِ قَتْلَى غيرَ مُحْصِيَةٍ عَدّا
مَشَوْا ذُلُلَ الأَعْناقِ دارِينَ أنّهمْ يُراحُ بهمْ لِلْمَوْتِ أو بِهِمُ يُغْدَى
مَساعِيرَ لَمْ تُؤْثِرْ على الجَرْيِ لِلرَّدَى رُجوعًا ولَمْ تَتْرُكْ إلى الصَّدَرِ الوِرْدا
وما رَغِبوا فى الحَرْب حَتَّى تَحَوّلَتْ مَحَبَّتُهُمْ كُرْهًا ورَغْبَتُهُمْ زُهْدا

سيَنْدَمُ خوّاضُ المَلاحِمِ هازِلًا ... وسَوْفَ يَرَى هَزْلَ الّتى خاضَها جِدّا
وأَغْرَبُ مافى هٰذه الحَرْبِ فَقْدُها ... ظُبًا جُرِّبَتْ أَفْعالُهـــا وَقْتًا مُلْدا
وَغًى يَتَساوى عندها الرُّمْحُ والعَصَا ... ولا يَفْضُلُ السَّيْفُ الحَمائلَ والغِمْدا
تَسَدَّدُ فيها كلُّ فَوْهاءَ حَشْوُها ... فَرَى الخُوذَةَ المَلْساءَ أوهَتَكَ السَّرْدا
إذا اخْتَرَقَ الأَوْهادَ دَكْدَكَ مَتْنَها ... أَو افْتَرَعَ الأَطْوادَ ضَعْضَعَها هَدّا
فلا يَتحاشَى شاهِقًا أَن يحطّه ... ولا يَخْتَشِي حِصْنًا ولا يَتّقِي سَدّا
مَقاليعُ لٰــكِنْ ما رَمَتْ قِطَعَ الصَّفا ... ولا اُجتَهَدَتْ أن تَدْفَعَ الحَجَرَ الصَّلْدا
ولٰكنّها تَرْمِي الحَديدَ بِمِثْــــلِه ... ويَنْبُو ولا تَنْبُو مَضارِبُها حَـــدّا
وما حَرْبُنا المَشْبُوبَةُ ابنَةُ آنِها ... ولا نَشَأَتْ عن قَتْلِ مَنْ وَلِيَ العَهْدا
ولا حَمَلَ الدَّوْلاتِ أَنْ تَلِجَ الوَغَى ... تَعاهُدُها بل إنها اختَلَفَتْ قَصْدا
فناشِــــدةٌ ثأرًا لِتُدْرِكَ ثأرَها ... وطالِبَةٌ فَتْحا وحارِســـةٌ مَجْدا
تُسَيِّرُ أَنّى سارت الخَيْلُ صَبْرَها ... وتَخْفِقُ قَلْبًا أَينَما خَفَقَتْ بَنْدا
إذا افتَقَدَتْ جَمْعًا أَعدَّتْ نَظيرَه ... أو اسْتَهْلَكَتْ حَشْدا دَعَتْ مِثْلَه حَشْدا
سَيُصْبِحُ شَعْبٌ شامخًا أَنفُ عِزِّهِ ... ويُصْبِحُ شَعْبٌ صاغِرًا دونَه خَدّا
وكم أُمَّةٍ نَهّاضَةٍ بعـــدَ كَبْوَةٍ ... وأُخْرَى كَبَتْ من بَعْدِ نَهْضَتِها زَنْدا
إذا أُمَّةٌ سِيـــقَتْ يُجَرُّ خِطامُها ... إلى غير ما تَهْوَى إذَنْ تَعِسَتْ جَدّا

مُضَيِّعةٌ فَضْــلًا ، وجاحِدَةٌ يَدًا   ونا كِثَةٌ عَهْدًا ، ومُخْلِفَةٌ وَعْــدا

كليلَةُ حَدِّ الفِكْرِ ، غيرُ بَصيرةٍ   تَرى شُبُهاتٍ ليس تُوسِعُها نَقْدا

تَعمَّدَتِ الكِذْبَ القَبيحَ وَأَعْمَلَتْ   مَقاوِلَ لَم تَنْصَحْ ولَم تَسْتَطِعْ رُشْدا

ألا مُدْرِكٌ هٰذِى البِلادَ وأَهْلَها   فقد لَقِيَتْ مِن جَوْرِ ساسَتِها جَهْدا

تفَرِّغُ أَيْدِينا لتَمْلَأَ جَيْبَهــا   وتَنْهَكُنا جُوعًا لتُشْبِعَها حَمْدا

شَرائِعُ سَنَّتْها الجَماعَةُ غَيْرَةً   مِن الفَرْدِ أَشْقَيْنَ الجَماعةَ والفَرْدا

يُحاوِلُ أَبناءُ البِلَى نَظْمَ شَمْلِهِمْ   وما انْتَظَموا شَمْلًا بل انْتَثَروا عِقْدا

خُلِقْنا لِأَنْ نَبْلَى ، أَلم تَرَ أَنّنا   نَكادُ لِطُولِ الخُلْدِ أَن نَسْأَمَ الخُلْدا ؟

وقيل : تَقارَبْنا ، وهَا نحن جيرةٌ   ولمّا بدا الصُّبْحُ انْثَنَى قُرْبُنا بُعْدا

أَما يُضْحِكُ الوَحْشَ الشَّوارِدَ حَمْلُنا   عَلَى بَعْضِنا ما ليس تَحْمِلُه حِقْدا ؟

من الحرب الى الحرب :

من قصيدة اتفقت عند نشوب الحرب العثمانية الإيطالية سنة ١٣٣١هـ=١٩١٢م وقد نشرت فى العدد ٢٤ من السنة الأولى من جريدة جبل عامل .

بَكَرَتْ عَلَيْكَ تُرِيكَ هَوْلَ المَوْعِدِ حَرْبٌ تَروحُ بِنا وأخْرى تَغْتَدِي
إنّ الخُطوب إذا رَمَتْنا عن فَمٍ فإلى فَمٍ ، أَوْ من يَدٍ فإلَى يَدِ
وإذا اللّيالى — وَالحوادثُ جَمّةٌ — حَمَلَتْ أَجِنَّتَها دَعَوْناها : لِدِى
أَممالكَ الغَرْبِ البَعيدِ مُغارُه إنّا نَحنُ إلى المُغار الأَبْعَـدِ
عُرْبٌ عَلَى قَسماتِ وَجْهِ وَليدِهِمْ مُتَبَـيِّنٌ عُنوانُ طِيبِ المَوْلِدِ
لا يَطرُقون الماءَ شِيبَ نَميرُه وغَدَا مَخاضَةَ رائِحٍ ، أَو مُغْتَدِى
وإذا الذِّئابُ وَرَدْنَ ماءً حَرَّمَتْ أُسْدُ الشَّرَى غِشْيانَ ذاكَ المَوْرِدِ
وإذا اُعْتَدَى الباغى على أوْطانِهِمْ بَطَشوا به وأَرَوْه عُقْبَى المُعْتَدِى
أَوَ ما أَتاكَ « بِبُرْقَةٍ » نَبأُ الّتى رَمَتِ البِـلادَ بِمُبْرِقٍ ، وبِمُرْعِدِ
وتَقَدَّمَتْ فتأَخَّرتْ ولو اُنهـا قامت قِيامَتُها لَقِيلَ لها اُقْعُدِى
أَبَنِى المَطامِعِ قُوبِلتْ أَعْداءُكُمْ وقُوا كُمُ بنَظائِرٍ لَمْ تُعْهَـدِ
فسلاحُكُمْ مِن أَذْرُعٍ ، ورِجالُكُمْ مِن نِسْوَةٍ ، وجُمُوعُكُمْ مِن مُفْرَدِ

مِن كلِّ مُنْتَشِقِ العَجاجِ كعَنْبرٍ ... أو كلِّ مُشْتَمِلِ الحَديدِ كَمجْسَدِ
أَلْقَى بجَنْبِ السَّيْفِ سَيْفَ عَزيمةٍ ... وأفاضَ فَوْقَ الدِّرْعِ دِرْعَ تَجَلُّدِ
أَغْرَتْكُمُ منّا الأَناةُ وطالَما ... أُغْرِى المَسُودُ فطاشَ حِلْمُ السيّدِ
أَغْرَقْتُمُ فى المُنْكَراتِ فأَوْجَبَتْ ... إِنْكارَ كلِّ مُثلِّثٍ وَمُوحِّدِ
وَشَرَعْتُمُ فى دِينِكُمْ مالَمْ يَكُنْ ... فى شَرْعِ موسى والمَسيحِ وأَحْمَدِ
أشياءَ لانَ لها الحديدُ وأَشْرَقَتْ ... عَيْنُ الجَمادِ وَرَقَّ قَلْبُ الجَلْمَدِ
إنّا دَعَوْنا العَصْرَ عَصْرَ تَقَهْقُرٍ ... فَلْيُدْعَ عَصْرَ تَقَدُّمٍ وَتَجَدُّدِ
ماذا يُرَجَّى مِن وَراءِ حضارَةٍ ... عَمِىَ البصيرُ بها وَضَلَّ المُهْتَدِى
وُجِدَتْ فأَعْدَمَتِ النفوسَ فضائلاً ... خُلِقَتْ لها فكأَنّها لَمْ تُوجَدِ

درس آلام :

اتفقت بعد الحادثة الآنف ذكرها ، وقد نشرتها صحف بيروت

نَوْمٌ طفيفٌ وَيقْظاتٌ مُرَوِّعَةٌ ... لِلّهِ حَالَةُ إِصْباحِي وَإِظْلَامِي
قد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الحُلْكَ مِنْ زَمَنِي ... هٰذا لَيَالِيَّ فاحْلَوْلَكْنَ أَيَّامِي
مَالِي أُصافِحُها طَوْعًا وَتَجْرَحُنِي ... يَدُ الحوادِثِ جُرْحًا غيرَ مُلْتَامِ
هل قارِئٌ بحياتِي لَوْحَ عِبْرَتِهِ ... فَمَا حياتِيَ إِلَّا دَرْسُ آلَامِ
فَرَرْتُ مِنْ عَقَبَاتٍ قُلْتُ أَتْرُكُها ... خَلْفِي فلاقَيْتُ أَدْهاهُنَّ قُدَّامِي
ثَقِفْتُ لِلْخَطْبِ أَرْماحِي فما نَفَعَتْ ... أَنَافِعِي الْيَوْمَ أَنْ ثَقَّفْتُ أَقْلامِي ؟
نَثَرْتُ جُلَّ سِهامِي مِنْ كِنانَتِها ... فما أَصَبْتُ وَأَصْمَى قَلْبَهُ الرَّامي
عَدَدْتُ دَاعِيَةَ الإِصْلَاحِ فى وَطَنِي ... فما عَدَتْ رُتْبَةَ الآحادِ أَرْقامى
أَكُلَّما رُفِعَتْ لِلْحَقِّ أَلْوِيَةٌ ... كَرَّتْ لِتَخْذُلَها رَاياتُ أَوْهَامِ
العِلْمُ عِلْمُ خُرافاتٍ وَشَعْوَذَةٍ ... وَالدِّينُ دِينُ مَناماتٍ وَأَحْلامِ
مُوَحِّدون وَلٰكِنْ عَزَّ أَنَّكُمُ ... نِمْتُمْ وَقد نَهَضَتْ عُبّادُ أَصْنامِ
وَإِنَّ ما بينَ آرائِي وَبَيْنَكُمُ ... بُعْدًا كما انْفَسَحَتْ أَبْعادُ أَجرامِ

لا تُنْكِرُوا الذُّلَّ إِنَّ الْكَوْنَ سُنَّتُهُ … تَسْخِيرُ قُوَّةِ قَوْمٍ ضَعْفَ أَقْوامِ

***

أَبْنَاءَ (رُومَةَ) مَهْلًا إِنَّ فَعْلَتَكُمْ … فى الشَّرْقِ فَعْلَةُ أَنْذالٍ وَأَقْزامِ

أَقْدَمْتُمُ غيرَ هَيَّابِينَ آخِرَها … وَما التَّهَوُّرُ إِلَّا نَوْعُ إِقْدَامِ

أَتَسْتَبِيحُ مَواضِيكُمْ قَسَاوِرَةً … وَقْعُ الظُّبَا عندها إِيقاعُ أَنْغامِ؟

هَيْهاتَ لا يَتَخَلَّى عن (طَرابُلُسٍ) … فى الغَرْبِ مَنْ حَرَسُوها وَهِيَ فى الشَّامِ

أَقْصَوْهُمُ عن سُهُولِ الأَرْضِ فاقْتَعَدُوا … لهمْ غَوارِبَ أَنْشازٍ وَآكامِ

حتى إذا قارَبوهُمْ باعَدوا لهمُ … مَسافةً بينَ أَرْوَاحٍ وَأَجْسامِ

رُدُّوا وَقد تَرَكُوا للقَوْمِ أَنْعُمَهُمْ … وَهُمْ يُساقُونَ دَعًّا سَوْقَ أَغنَامِ

ونَاكِصِينَ على الأَعقابِ ما عَثَرُوا … إِلَّا بِفَضْلِ رُدَيْنِيٍّ وَصَمْصامِ

خَنُّوا إلى البرِّ أَقْداماً رَجَعْنَ بِهِمْ … مُسْتَعْجِلاتِ الْخُطَى يَعْثُرْنَ بالهامِ

يا أُمَّةً لَبِسَتْ مِنْ نَسْجِ شِقْوَتِها … ثَوْبًا تُدَنِّسُهُ أَوْضارُ آثامِ

مَن كانَ أَثْبَتَ جَأْشاً ساعةَ الْتَقَيا … جَيْشٌ بِجَيْشٍ، وأَعلامٌ بأَعْلامِ

رَأَوا بِكُمْ ضَعْفَ أَبْدانٍ كما عَلِمُوا … مِنْ طَيْشِكُمْ أَنَّ فيكمْ ضَعْفَ أَحْلامِ

تَعْسًا لكمْ، هل أَجابوا صَوْتَ نارِكُمُ … إِلَّا بِصَوْتِ يَتِيماتٍ وَأَيْتَامِ؟

يا قاذِفِينَ «طَرابُلْسًا» بِنائِرَةٍ … وطالِبِينَ لها تَنْوِيرَ أَفْهامِ

أَلا حَملْتُمْ لها آلاَتِ مَعْرِفَةٍ كما حَمَلْتُمْ لها آلاتِ إِعْدامِ
ما خالَفَ الغرْبُ فِينا مِنْ حضَارَتِهِ إلَّا بَوَاعِثَ إزْهاقٍ وإرغامِ
كَيْفَ اتِّحَادُ بَنِي الدُّنيا وهمْ بَشَرٌ مُوَزَّعٌ بين أشكالٍ وأَقْسَامِ
تقاطَعُوا شِيَعًا كلٌّ بِمَغْرِسِهِ كأَنَّهمْ لم يكُونوا زَرْعَ أَرْحامِ

الوداع :

نظمت إثر نشوب الحرب بين العثمانيين والإنجليز فى العراق سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م ، ويقصد بها وداع الدولة العثمانية

إمْلِكوا الصَّبْرَ أنْ يَطيرَ شَعاعَا　　غَمراتٌ وَيَنْجَلِينَ سِراعا
فرَّقَتْنَا وَفاتَهــــا ثمَّ أنَّا　　كالدَّرارِى تفرُّقا واُجتماعا
عَقَباتٌ لَيْسَتْ تُنالُ اُجْتِيازًا　　وَثنايا ليست تُرامُ اُطِّلاعا
إنّما يَعْثُرُ الْكَسولُ ، وينجو　　مَن سَعَى غيرَ عاثرٍ أو تَساعَى
ما أَسَغْتُمْ هَضْمَ العِراقِ ولٰكِنْ　　هِجْتُمُ للعِراقِ أُسْدًا جِياعا
رَاحَ مَنْ يقْتَضِى بتَرْكِ التَّقاضِى　　وَأَتَى مَنْ يَكِيلُ بالصّاعِ صاعا
أنَا ذا لا أقولُ أَكْثَرَ مِمّنْ　　قال : هــذا بِناءُ مَجْدٍ تَدَاعَى
لِسِواكُمْ زَادَ العِراقُ إتاءً　　وَنَمَى غَــلَّةً وَدَرَّ اُرْتِفاعا
قُدْتُموهُ هَدِيَّةً ما اسْتُبيعتْ　　مِنْ سَجايا الأَعْلاقِ ألا تُبَاعا
الوَداعَ الوَداعَ يا آلَ عُثْما　　نَ فقُولوا لنــا الوَداعَ الوَداعا

إنْ يَسُوْءنَا تَرْكُ الدِّفاعِ فأَنتمْ مَعْشَرٌ تُحْسِنُون عنّا الدِّفاعا
أَرَأَيتمْ تلكَ الْقُلوبَ اللَّواتى سُخِّرَتْ بالقِلاع كانت قِلاعا؟
إنَّ ذاكَ السَّماعَ صار عِيانًا وَسيَغْدو هـذا العِيانُ سَماعا
ما أَظُنُّ الدُّنيا تضِيقُ بقَوْمٍ شَحَنوا قُطْرَها صُدورا وِساعا

ثورة على الأتراك :

أو شكوى وعتاب

من أهمّ حوادث العراق الأخيرة ثورةُ النجفيِّين على العثمانيِّين التى انتهت بطردهم من النَّجَف ، و بسقوط هيبتهم وضَعفِ شأنهم فى عامّة البلاد ، لا سيّما سِقْى الفرات ، ولم يقتصر تأثيرُها من هذا القبيل على القُطر العراقىّ حتى تجاوز إلى غيره من الأقطار ، فقد انتشرت فى النجف فى أُخْرَيات جمادى الثانية سـنة ١٣٣٣ ﻫ ١٩١٥ م أو لمرور شهر على واقعة الشعيبة رِقاعٌ تحضّ على مناهضة الحكومة العثمانيّة ، فاهتمّ لها أُولياء الأُمور فى بغداد ، وجرّدوا إلى النجف بَعثا مؤلَّفاً من ألف من المُشاة والفُرسان بقيادة (عزّت بك) ففرّ المشاغبون عند وصوله إلى السواد ، وهم عصابة يتألّف معظمها من الباط (الفارّين من الجنديّة) وفى الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣ ﻫ ١٩١٥ م عادوا فنفذوا إلى البَلدة من السُّور ، وانضمّ إليهم طائفةٌ من البلديّين ، فنَشَب فى الصباح الثانى بينهم و بين الحامية العثمانيّـة قِتالٌ شديد دام إلى عصر الأثنين ١٠ رجب سـنة ١٣٣٣ ﻫ . وفيه أَذْعَنت الحامية وجُرِّدتْ من السلاح بعد فُقْدان جماعةٍ منها فيهم بعض الضباط ، وطلب القائد والقائمقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان ، فأخذه لهم ، وأخرجهم به خازن المشهد و بعض الأماثل والصـدور ، ثم أُضرمت النارُ فى دُور الحـكومة ، ونُهِبتْ أمتِعة المستخدَمين ، وتسلّم النجفيّون منذ ذلك اليوم أزمّة الحـكم فى البَلدة ، وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحـكومة العثمانيّة من العراق ، فكان لهم ضِلْع فى أكثر الحوادث التى حَدثت بعد ذلك ،

وأُريدَ بها طَرْدُ الأتراك لحادثة كَرْبلا الأولى فى منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م وكارثة الحِلّة فى منتصف شوال سنة ١٣٣٣هـ وحادثة كَرْبلا الثانية فى ٧ رجب ١٣٣٤هـ ١٩١٦م هَلَكَ فيها خَلْقٌ كثير ، وأشرفت البلدة على الخراب ، إلى غير ذلك ، وما زال النجفيّون يحكمون أنفسَهم بأنفسهم سنتين كاملتين ، حتى حاولوا أخيراً ألاّ يَفْسَحوا بينهم مجالا للانكليز ، كما اتفق لهم مع الأتراك ، فقاموا بثورتهم الخطيرة على الإنكليز التى افتُتِحتْ بقتل (الكبتن مارشل) حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥هـ ١٩١٧م فحُوصرت النجف خَمسةً وأربعين يوماً بجيش انكليزى جرّار تُبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيّين أكثرَ تلك الأيام ، إلى أن تمّ للانكليز إمساك السواد الأعظم من القوم ، وعوقب نحو مائتين منهم بالشَّنْق والنَّفْى والتغريب .

لا الجُبْنُ ثارَ فأَطْغانا ولا البُخْلُ ... الثائِرُ الحِقْدُ بالأقْوامِ وَالدَّخَلُ
لو كان مابهمُ جُبْنًا لَما انتقَموا ... وفى طريقِ بُلُوغِ النِّقْمَةِ الأَجَلُ
السَّيْف قَرَّبَ منّا كلَّ قاصِيَةٍ ... لاالمَنْطِقُ الفَصْلُ مِنْ قَوْمٍ ولاالجَدَلُ
ماذا نُؤَمِّل فى إِدْراكِ غايَتِنا ... مِن السّياسةِ ؟ كَلّا إنها حِيَلُ
يامن يَعِزُّ علينا أن نُؤَنِّبَهُمْ ... فى حيثُ لا يَنْفَعُ التأْنِيبُ والعَذَلُ
جَفَوْتُمونا وقُلْتمْ : نحن ساسَتُكُمْ ... مُنًى مَطِيَّتُها الإِخْفاقُ والفَشَل
كم تَنْبِذُونَ لنا ذَنْبًا فنَعْذِرَكُمْ ... لقد تَقَطَّعت الأَعذارُ والعِلَلُ
أَمَا صَفَحْنَا عن الماضى لأَعْيُنِكُمْ ؟ ... أَما أُدِيلتْ لكمْ أَيّامُنا الأُوَلُ ؟

أَمَا اُستُجِيْشَتْ كما شِئْتُم كَتائِبُنَا ؟ حتّى تَفايَضَ منهَا السَّهْلُ والجبَل
أَمَامَشَت تذْرَعُ الدّنيَا ؟ أما انقطعَتْ بهَا المَتايهُ والغيطانُ والسُّبُلُ ؟
أَمَا أَطاعوا ؟ أَمَا برّوا ؟ أَما عَطَفُوا ؟ أما احتفَوْا بِعَوالِيهِمْ ؟ أما احتَفَلوا ؟
باللهِ لاَ تجْرَحوا أَكبادَنا ودَعُوا جِراحَ (بُرْقَةَ) و(البُلقانِ) تَنْدَمِلُ
مِمّا نَخافُ عَليكمْ أَنّ حِيلتَكمْ لا تُستَفادُ وأَنّ الرأىَ مُرْتجَلُ
قاتَلْتُمُ غَيْرَ عَلّامِين أنّكمُ حِزْبٌ عَلَى خَطَراتِ الوَهْمِ يتّكِلُ
هٰذى المَواقِفُ ماتنفَكُّ ظاهِرَةً بهـا الفَظائعُ لا (صِفّينُ والجَمَلُ)
وقائعٌ ما تَزالُ الدهرَ سائِرةً بها الرّكائِبُ مَضْرُوبًا بها المَثَلُ
أَضَعْتُمُ الفُرْصَةَ العُظمَى الّتى سَنَحَتْ وإنّمـا هِىَ ذاكَ الحادِثُ الجَلَلُ
قَيَّضْتُمُ لحِفـاظِ المُلْكِ طائِفـةً لغَيْرِها المُلْكُ والأجنادُ والدُّوَلُ
إلى الدِّفاعِ دَعَوتُمْ جاهِلِينَ به وإنّما الناسُ أعداءٌ لِمَا جَهِلوا
علّمْتُمُ حينَ علّمتُمْ جَوارِحَهُمْ دُونَ العُقولِ وقُلتُمْ : إنّهم عَقَلوا
لأى شىءٍ تَرَاهُمْ يُؤْثِرُونَكُمُ والقَوْمُ فيكمْ وفى أعدائكمْ هَمَلُ
لا تأمُلوا خَفَقانًا مِن قلوبِهِمُ فإنّهـا صَفِراتٌ ما بها أَمَلُ
نجْواهُمُ إذ أَظَلّتْكُمْ عُداتُكمُ بالظالمِينَ لَنا عن مِثْلِهِمْ بَدَلُ
قُلوبُكمْ مِن ذَهابِ الأَمْرِ واجلَةٌ أمّا سِواها فلا تَخْشَى ولا تَجِلُ
شاكُونَ خَفّتْ بكمْ لِلْحَرْبِ نَخْوَتُكُمْ وقد تثاقَلَ عنهـا مَعشَرٌ عُزُلُ

لَم يَفعلوا ما أَرَدْتمْ مِن ثباتِهِمُ ... وكان فى عَكْسِ ما يَهْوَوْن لو فَعلوا
خانوا ضمائرَهُمْ فى بَذْلِ طاعَتِهِمْ ... مِنْ قَبْلُ ، فالآنَ ما خانوا ولا خَذَلوا

***

نَحْنُ الأُلَى عَرَضٌ فى جَنْبِ جَوْهَرِكُمْ ... فيـه نِصالُ المَنايا الزُّرْقِ تَنْتَصِلُ
قَوْمٌ مِنَ العُرْبِ وَخزُ النَّحْلِ حَظُّهُمُ ... وحَظُّ قَوْمٍ سِوَانَا الأَرْىُ والعَسَلُ
عند المَغانِمِ لا نُدْعَى وَيَفْدَحُنا ... من المَغارِمِ ثِقْلٌ ليس يُحْتَمَلُ !
تَأْبَى الحَوادِثُ إلَّا أنْ نَملَّكُمُ ... ولا — وَدِينِ التآخِى — ما بِنا مَلَلُ
أينَ الرَّهِينُ بأَموالٍ لنا ذَهَبَتْ ؟ ... ومن يُقيدُ بإِخْوانٍ لنا قُتِلوا ؟
إمَّا شَهِيدٌ مُعَلًّى فَوْقَ مِشْنَقَةٍ ... أَو مُوثَقٌ بحِبالِ الأَسْرِ مُعْتَقَلُ
يامَنْ بِظِلٍّ بنى عثمانَ قد نَشَأُوا ... أَضْحَيْتُمُ ، إنَّ ظِلَّ القَوْمِ مُنْتَقِلُ
يارَبٌّ : مَن لِأُناسٍ ما لَهمْ أَحَدٌ ؟ ... يارَبِّ : مَن لِرِجالٍ ما بِهِمْ رَجُلُ ؟
وارَحْمَتاهُ لِمَنْ غابوا فما حَضَروا ... مِنَ الثُّغورِ ، ومَن ساروا فما قَفَلوا
تَسرِى الجُنودُ حُفاةً غيرَ ناعِلَةٍ ... كأَنّهـا بأَديمِ الأَرضِ تَنْتَعِلُ
أَمَا تَخُورُ قُوَى الشُّبّانِ إن وَصَلَتْ ... أَو إنّها لِتَنائى القَصْدِ لا تَصِلُ ؟
يُزْجِى القوافِلَ بالأَقْواتِ حافِلَةً ... طاوونَ ماشَرِبوا منها ولا أَكَلوا !
دَعوا المَظالِمَ حاوَلْتُمْ تَفَشِّيَها ... ما لِلبِـلادِ الّتى ناءَتْ بها قِبَلُ
لِمْ لا يُجابُ مُنادِينا ؟ كأَنّهمُ ... ما اُسْتُنْجِزوا عن يَدٍ حَقًّا ولا سُئِلوا
قد اُعتَذَرْنا وقد صَحَّتْ مَقالَتُنا ... أَخُوكُمُ مُكْرَهٌ فى الحَرْبِ لا بَطَلُ

يوم المدائن وتل السور :

من أكبر الوقائع فى العراق وأشهرها وقعة (المدائن وتل السور) التى يسميها الجمهور واقعة (سلمان پاك) فقد فيها ألوف من الفريقين المتحارِبين الأتراك والإنجليز .

زحف الإنجليز فى أوائل المحرم سنة ١٣٣٤هـ — ١٩١٦م من كوت الإمارة بقيادة الفريق (طاونسند) قاصدين أخذ بغداد ، فصمد لهم العثمانيون بقيادة (نور الدين باشا) قائد الجيش العثمانى العـام ، وتحصنوا فى أنقاض المدائن مقابل مشهد سلمان الفارسى ، وبدأت المناوشات بين الفريقين منذ أوائل المحرم ، ثم شرع الإنجليز بهجومهم العـامّ العنيف يوم الاثنين فى ١٤ منـه بعد تمهيد هائل بالمدفعية لم يسمع البغداديون مثله ، فاستولوا أول الأمر على خنادق العثمانيين ، وتأخر الأتراك إلى (ديالى) ، فاشتد الأمر على الناس وكثرت الأراجيف ، ثم كرّت الجنود التركية الجديدة التى كانت تتواصل منذ أوائل المحرم من السنة المذكورة بقيادة (خليل باشا ومحمد على بك) كرّة شديدة واستقتلوا وتغامسوا مع الإنجليز بالحراب فكشفوهم وأورثوهم وَهْنا بيّنا بعـد أن دامت الحرب أربعة أيام بلياليها ، حتى اضطر الإنجليز إلى الانسحاب فجأة ليلة ١٩ المحرم — فتأثّرهم الأتراك إلى يوم ٢٩ منه ، وفيه ضرب الحصار على كوت الإمارة .

أَعَالِمٌ بالّذى وافَتْ مَدائنُـهُ ... كِسْرَى وإيوانُه المَعْقُودُ والسُّورُ

يا مُوصِىَ النّاسِ قُمْ للنّاسِ أَوْصِهِمُ ... إنَّ الوَصِـيَّةَ شَىْءٌ عنكَ مأْثورُ

أَسْمِعْهُمُ ـ بعدأن صِحْتَ اُصْفَحُوا ـ : اُنْتَقِمُوا ... وَقُلْ لهمْ ـ بعدَ أنْ قُلْتَ اُعْدِلوا ـ : جُورُوا

أَبعْدَ عِشرِينَ قَرْنًا لَمَ يَزَلْ ذَلِقًا ... قِيلُ السِّياسةِ والْبُهْتانُ والزُّورُ
أَبا المَدائنِ فى أَيَّامِكَ اُنْبَعَثَتْ ... وفى مَدائِنِكَ السَّبْعُ الأَعاصِيرُ
ما فى البَسيطةِ مِنْ إِنْسٍ ومِنْ بَشَرٍ ... إِلّا الوُحُوشُ تَعادَى واليَعافِيرُ
مَدائِنٌ « أَرْدَشِيرُ » اُلْمَلْكِ خَطَّطَها ... وقامَ فى عُقْرِها كِسْرَى وسابُورُ
لولا بِلَى « طَيْسَفُونٍ » وَالبِلَى حَرَمٌ ... دُكَّتْ كما دُكَّ مِنْ أَركانِهِ الطُّورُ
مِنْ حاسِدِيكَ عَلَى هذا البِلَى كُرَةٌ ... لم يَبْقَ فى رُبْعِها المَعْمُورِ مَعْمورُ
الأَرضُ كاسِفَةُ الأَرْجاءِ قَدْ عَبِثَتْ ... فيها الصُّروفُ ونابَتْها التَّغاييرُ
رِوايَةُ النَّصْرِ صَحَّتْ بعدَما اُشْتَبَهَتْ ... وحِينَما رَجَّمَتْ عنك الأَخابِيرُ
لتَذْكُرِى « بخَليلٍ » أَو بِفَيْلَقِهِ ... « سَعْدًا » وَفَيْلَقُ سَعْدٍ فيكِ مَنْصورُ
كُلٌّ هُمامٌ وكُلٌّ لَيْثُ مَلْحَمَةٍ ... أَزَلُّ دامِيَةٌ مِنــــه الأَظافِيرُ
تجاهَ إِيوانِ كِسْرَى مَأْزَقٌ ضَنكٌ ... أَوْدَى الرِّجالُ بهِ وَالخَيْلُ وَالعِيرُ
كادت تَمَيَّزُ ذَبًّا عن حقائِقِها ... فيهِ النُّقوشُ وَتَسْتَضْرِى التَّصاوِيرُ
شَأْوٌ تَعاطتْ سِباقًا دُونَ غايَتِهِ ... جُرْدُ البَصائِرِ وَالْجُرْدُ المَحاضِيرُ
إِنْ كان للخَيْلِ مِضْمارٌ وَمُضْطَرَبٌ ... فكم خَلَتْ ثَمَّ للرأْىِ المَضامِيرُ
قَتْلَى (بِدِجْلَةَ) مِنها دِجْلَةُ اُمْتَلأَتْ ... « وَالنَّهْرَوانانِ » وَالأَنقاضُ والدُّورُ
مَنْ لم يَلُذْ يَوْمَ (ساباطٍ) وَلَيْلَتَهُ ... صَوْبَ النَّجاةِ فَمَقْتُولٌ ومَأْسورُ

يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ الأَيَّامِ مُنْبَلِجٌ وَمَوْقِفٌ فى سبيلِ اللهِ مَأْثورُ
مَنْ جَالِبٌ جُرْحَ بَغْدادٍ ؟ وقد عَلِمَتْ أَنَّ الرَّشِيدَ بذَاكَ الجُرْحِ مَوْتُورُ
لِلْكَرْخِ عَهْدٌ مِنَ «المأْمُونِ» مُؤْتَمَنٌ وفيه رُوحٌ مِن «المنصورِ» مَنْصور
أَيَسْتَبِيحُ الحِمَى قَوْمٌ أَمامَهُمُ وَمِنْ وَرَاءِ الحِمَى غُلْبٌ مَساعِيرُ
يا مَنْ أَحَبُّوا عَلَى الدُّنيا شَهَادَتَهُمْ تَزَيَّنَتْ لَكُمُ الوِلْدانُ والحُورُ

دمشق وبغداد :

اتفقت سنة ١٣٣٧ ﻫ = أول تشرين الأول سنة ١٩١٨ م حينما أذاع الإنجليز فى العراق أنهم — لا العرب — أخذوا دمشق الشام .

وقد وجد فى التعاليق على النسخة الأصلية ما يأتى : « كنا فى دمشق ساعة دخول الجنود الفرنسية دمشق فى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، أى بعد مضى سنتين على تاريخ نظم القصيدة فى العراق . فقال الشاميّون : لقد صحّ الآن مضمون هذه القصيدة » . وقد دعيت فى محافل الأدب « بالقصيدة الباكية » .

مَاذَا بِنَا وبِذِى الدِّيارِ يُرَادُ ؟ ... فقِدَتْ دِمَشْقُ وقَبْلَها بَغْدَاد
مِنْ مَوْطِنِ الْمِيلادِ قامتْ نُزَّعًا ... خَيْلٌ لهنَّ بجِلقٍ مِيعاد
ساءتْ وَقائِعُها وما سُرَّتْ بها ... لا الهِجْرَةُ الأُولَى ، ولا الْمِيلادُ
وَرَدَتْ مِياهَ الرافِدَينِ مُغِيرةً ... شُقْرٌ مِن القُبِّ الْبُطونِ وِرَادُ
هُجْنٌ طَرَدْنَ مِن الْجِيادِ كَرَائمًا ... عَرَبِيَّةً فكأنَّهنَّ جِيادُ
(بَرَدَى) وأَوْدِيَةُ (الفُرَاتِ) و(دِجْلَةٌ) ... (والنِّيلُ) غَصَّ بمَائِكِ الوُرّادُ
حَالَ العُلُوجُ من الأَحامِرِ بَيْنَنَا ... وتَعَذَّرَ الإِصْدارُ والإِيرَادُ
لاساغَ — يابَرَدَى — الشَّرابُ ولا هَنَا ... عَذْبٌ مِن الماءِ القَراحِ يُرادُ
نَبَأٌ بأعلى (قَاسِيُونَ) تَجاوَبَتْ ... بِدَوِيِّهِ الأَغْوارُ والأَنْجادُ

وأصابَ بَحْرَ الرُّومِ حتَّى عَبَّرَتْ   عن شَجْوِه الأمواجُ والازْباد
حَوْلَانِ حالُ الشَّرْقِ حالَتْ فيهما   لا تِلْكُمُ الأحْقَابُ والآبادُ
الشَّرْقُ مُسْوَدُّ الجوانِبِ كُلُّهُ   لَيْسَ العِراقُ ، ومَا لَدَيْهِ سَوَادُ
أعْيَادُ هٰذا الشَّرْقِ صِرْنَ مآتِمًا   لكنَّها لِعُدَاتِنا أعْيَادُ
الْجَوُّ وهْوَ مُقَطِّبٌ مُتَجَهِّمٌ   يَبْكِي لنا ، والأرضُ ، وهيَ جَمادُ
لَسْنَا نَحُدُّ عليكَ يوماً واحِداً   أو ليلةً ، كلُّ الزَّمانِ حِدَادُ
شَلَّ العُداةَ جُمُوعَنَا فتَفرَّقتْ   في الخافِقَيْنِ كأنَّها أذْوَادُ
آحادُهُمْ فينا جُمُوعٌ جَمَّةٌ   مَرْهُوبَةٌ ، وجُمُوعُنا آحادُ
في كلِّ يومٍ للعدُوِّ مَهَابَةٌ   فينا تقومُ ، وقُدْرَةٌ تَزْدَادُ
يا راكِبِينَ إلى دِمَشْقَ تَزَوَّدُوا   مِنَّا السَّلَامَ ، لِكلِّ رَكْبٍ زَادُ
المُلْكُ مُضْطَرِبُ النِّظامِ ، كأنَّه   جَسَدٌ ، دِمَشْقُ الشَّامِ منه فُؤادُ
هل في مُروجِ الغُوطَتَيْنِ لِأَهْلِها   ولِرائِدِيها مَرْبَعٌ وَمَرَادُ ؟
وهلِ الرُّبا حُلَلٌ ضَوافٍ طُرِّزَتْ   وطِرازُها الأزْهارُ والأوْرادُ ؟
وُشِيَتْ مِنَ الرَّوْضِ الأرِيضِ مَطارِفٌ   خُضْرُ الأديمِ ، وفُوِّفَتْ أبْرادُ
بَيْنَ الغُصُونِ ومَنْ مَشَيْنَ تَشَابُهٌ   في الحالِ كُلٌّ مُورِقٌ مَيَّادُ
تلك القُصورُ كأنَّهُنَّ قَلائِدٌ   فَوْقَ الشُّطوطِ كأنَّها أجْيادُ
أوَ ما تزَالُ على مَعَاهِدِ جِلَّقٍ   تَرِدُ الضُّيُوفُ وَتَصْدُرُ الوُرّادُ ؟

يَحْلُو لها هَذَّ القَرِيضِ مُهَذَّبًا ... ويرُوقُها الإنْشاءُ والإنْشَادُ
غَدَت العَواصِمُ خِطَّةً مَغْزُوَّةً ... لا الخَيْلُ تَعْصِمُهَا ، ولا الأَجْنَادُ
لا (آلُ حَمْدَانٍ) ولا أَيَّامُهُمْ ... فيها لِهَاتِيكَ الثُّغورِ سِدَادُ
المُصْلِتون سُيُوفَهُمْ لَيْسَتْ لَها ... إلّا رِقابَ عُدَاتِهِمْ أَغْمادُ
أَخَذوا المَضَايقَ، والدُّروبُ تَغَلْغَلَتْ ... فيها الجيوشُ ، وأَمْعَنَ القُوّادُ
ضاقتْ على سَعَةِ المَجالِ بِجُنْدِهِمْ ... شَعَفُ الجِبَالِ ، وغَصَّت (الأَسنادُ)
سَمِعُوا الصَّرِيخَ فأنعموهُ إجابَةً ... ما ذاكَ إلّا أَنَّهُمْ أَنجَادُ
رُزِئَ الصَّلاحُ صَلاحُ دِينِ مُحَمَّدٍ ... والفاتِحَانِ (مُحَمَّدٌ) و (مُرادُ)
الذّاهبون مَضَى لنا بِذَهابِهِمْ ... فى اللهِ جِدٌّ دائمٌ وجِهادُ
خُنَّا ذِمامَ الفاتِحِينَ وعَهْدَهُمْ ... ما هٰكذا تُسْتَنْجَبُ الأَوْلادُ
إنّا بما نَجْنِي وهمْ فيما جَنَوْا ... بِئْس البَنُونَ ونِعْمَتِ الأَجدادُ
كانت حفائِظُ (يَعْرُبٍ) إن صُولِيَتْ ... ناراً ، ونارُ الآخَرِينَ رَمَادُ
إِنِّى يُذَكِّرُنى الشَّهامَةَ (عَنْتَرٌ) ... فينا ووالدُ (عَنْتَرٍ) (شَدَّادُ)
ويهزّنى عَصْرُ (العِراقِ) تَسوسُه ... (لَخْمٌ) و (آلُ مُحَرِّقٍ) و (إيادُ)

***

يأَيُّها الجِيلُ الطَّرِيدُ كم انقضتْ ... فيما تحاولُ غارةٌ وطِرادُ
وعَدَتْ بغُرْبَتِكَ الرُّوَاةُ وإنّه ... حَتْمٌ عَلَيْكَ كما بُدِئْتَ تُعادُ

مِمّا أَضَعْتُمْ مِنْ تُرَاثٍ (بابلٍ) و (مَصَانِعُ الخُلفاءِ) و (الأسدادُ)
لم تخلفوا بانى (السَّدِيرِ) بما بَنَى ومُشَيِّدِيهِ بما أتوه وَشادُوا
لولا التَّفَكُّرُ فى مَصِيرِ بلادِكُمْ تاللهِ ما ضاقتْ عَلَيَّ بِلادُ
إنِّى أَبِيتُ لأجلِها مُتَمَلمِلاً قَلِقَ الوِسادِ وما لَدَىَّ وِساد
أضدادُكُمْ مُتَسَانِدُونَ قد اجْتَنَوْا ثَمَرَ الوِفاق وأنتمُ أضْدادُ
نَبَذوا لكمْ ثَمَنَ البِلادِ وفيكمُ مَنْ لا يَشُكُّ بأنّهمْ أجْوادُ
وَعَدُوكُمُ الإصلاحَ فَلْتَتَوَقَّعُوا بَرْقاً جَوانِبُ وَعْدِهِ إيعادُ
إطْلاقُ أَيْدِينا على أيدى العِدَى رِقٌّ وفكُّ إسارِنَا اسْتِعْبَادُ

* * *

مَدُّوا الحديدَ وما اهتزَزْتُ لِمَدِّهِ سِكَكُ الحديدِ بأرْضِنا أَصْفادُ
طُرُقُ الحَديد إذا الْتَوَتْ وتشابكتْ شَرَكٌ به شَرَفُ العِراقِ يُصَادُ

* * *

ما وَلَّدَ الآثارَ إلّا مَعْشَرٌ حَرِكُو الطِّبَاعِ وُجودُهُمْ إيجادُ
القَوْمُ مُلِّحَ بالحديثِ قَدِيمُهُمْ فَرَقُوا وزُيِّنَ بالطَّرِيفِ تِلادُ
أَلْقَى أعِنَّتَه الهواءُ إليهمُ والماءُ ، صَعْبُ كِلَيهما مُنْقادُ
هانَتْ عَلَى السُّفُنِ الَّتى مَخَرَتْ بِهِمْ لُجَجُ المِياهِ كأنَّها أثمادُ
كم بينَ مَنْ بَلَغُوا السَّماءَ وبيننا نحن الذينَ خيالُهُمْ مُنْطادُ ؟

هل فى غِياضِ (الدَّرْدَنِيلِ) مُجاوِبٌ ... إن قلتُ : لِمْ لا تَزْأَرُ الآسادُ ؟
خُرْسُ المَقاوِلِ ناطِقون دَهاهُمُ ... رَيْبُ الزَّمانِ وغُيَّبٌ أَشْهادُ
أسماؤُكُمْ فيها — ظَنَناً — جُنَّةٌ ... مِما نَخافُ وعُدَّةٌ وعَتادُ
الصَّدْرُ فى دارِ الإمارَةِ (طَلْعَتٌ) ... ومُمَالِئُوه ، والإِمامُ (رَشادُ)
أأَفادَكُمْ شَنُّ الحروبِ تَتابَعَتْ ... وأَنالَكُمْ ما لا يُنِيلُ حِيادُ
رَفَعَ الخَيالَ لكم ، وقَرَّبَ رَوْضَةً ... غَنَّاءَ تُسْقَى بالمُنَى وتُجَادُ
ثَمَرٌ دنا منه القِطافُ — زَعَمْتُمُ ... سَفَهاً — وزَرْعٌ منه حانَ حَصادُ
رُفِعَ الهِلالُ عن السَّماءِ وقد خَبا ... أو كادَ ذاكَ الكوْكَبُ الْوَقَّادُ
للهِ أَكْتادٌ عَواتٍ حُمِّلَتْ ... ما ليسَ تَحْمِلُ بَعْضَه أَكْتادُ
من كلِّ قاصِيةٍ لأخرى لمْ تُحَطْ ... تُجْبَى الجُنُودُ ، وتُجْلَبُ الأَمْدادُ
ما بين (مِصْرٍ) و (الحِجازِ) تَطَاحُنٌ ... ومِن (العِراقِ) إلى (الخليجِ) جِلادُ
يَتزَوَّدون من التَّجلُّدِ كُلَّما ... قَلَّ المَتاعُ ، وخَفَّتِ الأَزْوادُ
ويعلِّلون جريحَهُمْ بأَدائِه ... فَرْضَ الدِّفاعِ كأنَّ ذاكَ ضِمادُ
يا لَلرَّزِيَّةِ كم تُفرِّقُ بَيْنَنا ... وتضِلُّنا الأَضْغانُ والأَحْقادُ !
لا تَبْرُدُ الأَكْبادُ فيما بيْنَنا ... حتَّى تَذُوبَ ، وتَعْطَبَ الأَكبادُ
الآن لا (الحَجَّاجُ) فينا قائمٌ ... لِنَنالَ منه ولا الدَّعِىُّ (زِيادُ)

* * *

جَارَتْ علينا عُصْبَةٌ رُوحِيَّـــةٌ شَقِيَتْ بها الأَرْوَاحُ والأجْسادُ
راجَتْ نَقائصُها ولـكنْ آذنَتْ برَواجِهَا أنَّ الـكَمالَ كَسادُ
عاداتُهـا بَلِيَتْ وتلك عَوائِدٌ ممّا نَفَثْــه لنا (ثَمُودُ) و (عادُ)
مَلَّتْ مَسَـــامِعُنَا ومَلَّ نَجِيُّنا ممّا يُكَرَّرُ ذِكْرُه ويُعادُ
وَعَظتْ شُيوخٌ لوأصابَتْ لأَرْعَوَتْ ولَنالَ منهـا الوَعْظُ والإِرْشادُ
لا يَحْسُدون على المَعالى أُمَّةً وهُمُ — على عِـلّاتِهِمْ — حُسَّادُ
حَسْبُ البُغاةِ الظَّالِمين تَرَبُّصٌ بالمُسْلِمين ، وحِيــلَةٌ وكِيادُ
إنّ الزّعامَةَ سُلِّمَتْ لزَعانِفٍ فى الشّرْقِ قادوا أَهْـلَه فانْقادوا
انظرْ إلى الأعْجازِ كيف تَصَدَّرَتْ وعَمائِمِ السّاداتِ كيف تُسادُ !
شرُّ العصورِ ــ وفى العُصورِ تفاوُتٌ ــ عَصْرٌ به تَتَقَــدَّم الأَوغادُ
أَمَّا مَخَازِيهِــمْ فليستْ تَنْتَهِى ولو انْقَضَتْ وتناهَتِ الأَعدادُ
ولو أنّ أشْجَارَ البَسيطِ يَراعَةٌ والأرضَ دَرْجٌ والبحارَ مِدادُ

حماسة لا سياسة:

اتفقت سنة ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م يشير فيها إلى تفاقم النّعرات الحزبية السياسية

ألا فى سبيلِ اللهِ والوَطَنِ العانِى ... سُهادِى إذا جَنَّ الظَّلَامُ وأَشْجانِى
وفى ذِمّةِ الشّعْبِ المُضَيَّعِ حَمْلَةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ أَلقاها ـ وَحِيداً ـ وَتَلقَانى
وسَوْمِى نَفْسِى فى الكِفاحِ رَخِيصةً ... وكنتُ فَتًى إن سامَنى الوقتُ أَغْلانى
ونَفْثِي مِنْ صَدْرِى شُواظًا تَضَرَّمَتْ ... به وسَرَتْ فى فَحْمَةِ اللّيْلِ نِيرانى
ورَدِّىَ كَيْدَ الكائِدِين عليهمُ ... وكان قَمِينًا أَن يُضَعْضِعَ أَرْكانى
إذا كادَ أَنْأَى الناسِ عَنِّىَ كِدْتُهُ ... وإن كاد أَدْنَى النَّاسِ مِنِّىَ أَعْيانى
رجالٌ لهمْ فى العُرْبِ دَعْوَى كما أدَّعَى ... (بآلِ زِيادٍ) قَبْلَهمْ (آلُ مَرْوانِ)
لهمْ ما أُستقامتْ قطُّ عندى طَرِيقةٌ ... وناهِيكَ فيهمْ مِن وُجُوهٍ وأَلْوانِ
تَمَسَّفَ قَوْمٌ بالعِراقِ وساوَمُوا ... على وَطَنٍ ـ ماسِيمَ يَوْمًا ـ بأثمانِ
هُمُ أُحتَقَبوا الأَوْزارَ يَقْتَرِفُونَها ... وقالوا: جَنَى عَمْداً وما هوَ بالجانى
هُمُ أُسْتَعْجَلُوا اللَّذَّاتِ يَنْتَهِبُونَها ... وَهُمْ بَدَّلُوا بالجَوْهَرِ العَرَضَ الفانى
وقد تُنْكِرُ الحُرَّ العِراقِىَّ أَرْضُهُ ... فيَنْأَى ليَدْنُوَ منه مَنْ ليس بالدّانى

الحب الطاهر :

يشير فيها إلى ما وصلت إليه البلاد أواخر أيام الأتراك العثمانيين ، وذلك فى سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م من ناحيتى السياسة وتصريف الشؤون العامة . وقد نشرتها لأول مرة مجلة العرفان .

أمَا لِأَسيرٍ فى هَواكَ سَراحُ ... وهل لتَباريحِ الفُؤادِ بَراحُ ؟
أَجَلْ ، سَلَّمَتْكَ العاشقون قلوبَها ... وما فوقَ تَسْليمِ القُلوبِ سَماحُ
إذا بَدَأُوا يَسْتَعطِفُونَكَ عاوَدوا ... وإن بَكَرُوا يَسْتَطْلِعُونَكَ راحُوا
هَوُوا فاتَّقَوْا بَثَّ الغَرامِ فأَضْمَرُوا ... نَخانَهُمُ الصَّبْرُ الجميلُ فباحُوا
يُحِبُّونَ وَخْزَ النُّجْلِ وهىَ صَوارِمٌ ... وطَعْنَ القُدودِ الهِيفِ وهىَ رِماحُ
خَليلَىَّ ما أَحْلَى الغَرامَ سَجيَّةً ... إذا كَرَّمَتْه عِفَّةٌ وصَلاح !
وما أَخْطَرَ العِشْقَ الّذى ليس دُونَه ... على عاشِقٍ يَأْتِى الهَناتِ جُناحُ !
يقولون : إتْيانُ الكبائِرِ جائِزٌ ... وفِعْلُ الخَطايا المُنْكَراتِ مُباحُ
أَفى هذه الأَخْلاقِ للجِنْسِ نَهْضَةٌ ... ولِلبَشَرِ الآتِين منه فَلاحُ ؟
يريدون للدُّنيا ضِماداً وإنّهمْ ... بِجُثْمانِ هٰذا الاجْتِمَاعِ جِراحُ
ويَعْتَبِرُونَ النّاسَ مَرْضَى كأَنَّهُمْ ... ـ وهم كَيَّفُوا داءَ النُّفوسِ ـ صِحاحُ
ألا هِمَمٌ يَكْبَحْنَ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ ... فَيَنْحَطَّ مَيْلٌ ، أو يَلِينَ جِماحُ
وهل فاضِلٌ يَرْعَى الفَضيلةَ ؟ إنَّها ... خَيالٌ سَيَفْنَى ، أو حِمًى سيُباحُ

فقد عَصَفَتْ بالمكرُمات زَعازِعٌ ... وعَفَّتْ رُسومَ الأكرَمين رِياحُ
إذا أظلَمَتْ أخلاقُنا وتجَهَّمَتْ ... فهل نافعٌ أنّ الوُجوهَ صِباحُ ؟

***

وهاتِفَةٍ وُرْقٍ كأنّ هَـــدِيلَها ... حَنينٌ إلى أُلّافِهـــا ونُواحُ
إذا رَفَّ جِنحاها أطارَ لِيَ الهَوَى ... فؤاداً له الشَّوْق المُلِحُّ جَناح
هَنَا لِبَنَاتِ الدَّوْحِ ، أمّا طَعامُها ... فَغَضٌّ، وأمّا ماؤُها فقَـــراحُ

***

يُسامُ العِراقُ الذُّلَّ وهيَ عزيزةٌ ... ويَخرَسُ أهلُوه وهُنَّ فِصاحُ
أسُكّانَ أجْوازِ العِراقَيْنِ هل لكُمْ ... نُزُوعٌ إلى نَيْـلِ العُلا وطِماحُ ؟
فلا تَضعُفُوا إنّ السَّعادَةَ قُوَّةٌ ... ولا تجْبُنُوا إنّ الحيـاةَ كِفاحُ
نِيامٌ ولكنّ البَطالَةَ مَرْقَدٌ ... وشَرْبٌ ولكنّ الجَهالَةَ راحُ
غَفَوْا.وعُيونِي للعِراق طَوامِحٌ ... وشابُوا ووُدِّى (للعِراق) صُراحُ
سَهِرْتُ له السُّودَ الغَرابيبَ إنّها ... لَيالى افتِكارٍ ما لهنّ صَـباحُ
قتَلْتُ بآمالى دُجاهُنّ ، والمُنَى ... ـ إذا كافَحَتْكَ النائِبَاتُ ـ سِلاحُ
فهُنّ لِمُنْـدَقِّ الرِّماحِ عَوامِلٌ ... وهُنّ لِمَبْرِيِّ الصِّـفاحِ صِفاحُ
رَأَيْتُ المُنَى لِلنّاشِئِينَ سَعادَةً ... وإن لم يُصَـدِّقْ حَمْلَهُنّ نَجاحُ
وأيُّ حَياةٍ ليس تَعْذُبُ بالمُنَى ... وهُنّ على خَصْرِ الحَياةِ وِشاحُ
ولو شِئْتُ كَلَّلْتُ الزّمانَ أمانِيًا ... لهنّ بِفِكْرِى غُدْوَةٌ ورَواحُ
تَضيقُ بها الأرْجاءُ وهيَ عَريضَةٌ ... وتَنْقَبِضُ الآفاقُ وهي فِساحُ

الهيام بين العراق والشام :

من أبيات أنشأها أواخر أيام إقامته فى دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م ، وقد اشتاق جداً إلى العراق .

بِبَغْدَادَ أَشتاقُ الشَّآمَ وهَا أنا ... إلى الكَرْخِ مِنْ بَغْدادَ جَمُّ التَّشَوُّقِ
فما أنا فى أَرْضِ الشآمِ بِمُشْئِمٍ ... ولا أنا فى أرضِ العِراقِ بِمُعْرِقِ
هُما وَطَنٌ فَرْدٌ وقد فَرَّقوهُمَا ... «رَمَى اللهُ بالتشتيتِ شَمْلَ المُفرِّقِ»
إذا قُمْتُ نُصْبَ العَيْنِ يا عهدَ (تَدْمُرٍ) ... ذَكَرْتُ ادِّكارَ الطَّيفِ عَهْدَ (الخَوَرْنَقِ)
وفى (بانِياسٍ) و(الفُراتِ) و (دِجْلةٍ) ... وفى (بَرَدَى) مَجْرى البَرودِ المُصَفَّقِ
أَرَى اليومَ ماءً فى الفُراتَيْنِ آسِنًا ... مَتَى عَبَّ مِنه عاطِشُ النَّفْسِ يَشْرَقِ
سَيَحْدو غَوادِي الدَّمعِ بالدَّمعِ حُفَّلًا ... سَنَا بارقٍ مِنْ بابِلٍ مُتَأَلِّقِ
رَهَنْتُكِ يا (بَغْدادُ) قَلبي ومَنْ تَكُنْ ... رَهِينَتَه قَلبًا (بِبَغْدادَ) يَغْلَقِ
عَلَا الشَّيْبُ آمالِي ولَمْ يَعْلُ عارِضِي ... وبَيَّضَ قلبي قبلَ تبييضِ مَفْرِقِي

* * *

لقِينا نُجومًا فى دِمَشْقَ ولم نَخَلْ ... بها أَنَّنا فى أَنْجُمِ الأرضِ نَلْتَقِي
فهل بَلَدٌ أَوْلَى مِن الشَّأْمِ بالهَوَى ... وبالحُبِّ أَجْدَرُ فى دِمَشْقَ وأَخْلَقِ

وما الأرضُ — لولا أربُعٌ عربيّةٌ — سِوَى عطَنٍ بالعَبْقَرِيّةِ ضَيِّق

***

إلى الآنَ لا يُستَمْلَحُ الشِّعْرُ إنْ عَلا ولا يُستجادُ القَوْلُ إن لم يُلَفَّقِ
قَرِيضٌ طُلُولٍ عافِيَاتٍ وأَرْبُعٍ وشِعْرُ جِمالٍ سائراتٍ وأَيْنُقِ
مُقَيَّدَةٌ أبوابُهُ وفُنونُه وأَدْهَى دواهي الشِّعْرِ تَقْيِيدُ مُطْلَقِ
ويارُبَّ حَسْناءِ الأعاريضِ تُتَّقَى وتُهْجَرُ كلَّ الهجْرِ إن لم تُطَلَّقِ
إذا قلتُ: إنِّي لم أكُنْ قَطُّ كاتبًا ولا شاعراً من قَبلِ ذا، لم أُصَدَّقِ
مَتى خَيَّروني في الكلامِ ونَسْجِهِ رَضِيتُ بَسِيطَ القَوْلِ لم أتأنَّقِ
إذا لم يَجِئْكَ الشِّعْرُ عَفْواً تَحامَهُ وإن لم يَسَعْكَ الخُلْقُ لا تتَخَلَّقِ

الشرق الناهض :

اتفقت إثر ثورة الدروز على الحكم الفرنسى سنة ١٣٣٦ هـ = ١٩١٨ م

نَفِدَ الصَّبْرُ فهبّتْ فزَعَا ... وأبَى السَّيفُ لها أن تَضْرَعَا
بعثَ اللهُ لها راقِدةً ... مِن عُصورٍ ، ما أقضَّ المَضْجَعا !
ودعَا للذَّوْدِ عن أحْسابها ... شَرَفُ العِرْقِ فلَبَّتْ إذْ دعا
أمَّةٌ خَرْساءُ كَمْ واشٍ وَشَى ... بِنَواديها وكَمْ ساعٍ سَعَى
أزْمَعتْ ألّا يراها حَمَلًا ... غاصِبٌ صالَ عليها سَبُعا
واتّقَتْ حِيناً فلمّا عَقَلتْ ... نَبَذَتْ ذَاكَ التُّقَى والوَرَعا
أشْرَعتْ عامِلَها فاتّهَمُوا ... حَدَّه المَأْثورَ حتى قطَعا
وأدّاها فنفَتْ حُجَّتَه ... داحِضُ الحُجَّةِ سَمْجُ المُدَّعى
جَمَحَ الشَّرْقُ على رائِضِه ... بعد ما اُستَنَّ ذلولًا طيِّعا
فى جِهاتِ الأرْض خَرْقٌ كلّما ... رَفَأَ الساسةُ منه اتّسَعا
جاذَبَتْنَا بُرْدَةَ المُلْكِ يَدٌ ... مَلَأَتْها مِن فَسادٍ رُقَعا
كلّما قام إمامٌ جائرٌ ... قادَنَا الضَّعْفُ فصِرْنا تبَعا
شَتَّتَ الشَّمْلَ جميعاً نفَرٌ ... غَبَروا لا يَشهَدُون الجُمَعا

لا يبــــالُون إذا ما قُلِّدوا ضَرَّهُمْ ما فعلوا ، أم نفعــــا
وإذا ما بَحَثــــوا مُشْكِلَةً لم تَجِدْهُمْ شِـيعَةً بل شِيَعا
صِـلَةَ الشَّرْقِ بالماضى أسلمِى لا تعودِى سَــــنَداً مُنْقَطِعا

* * *

جاهِدِى يا أُمَّ الشَّرْقِ الأُلَى قتلُونا جاهِــدِيهِمْ أجمَعا
جدِّدى عَهْــدَ (علىٍّ) غازِياً وأعِيـدِى (مالِـكاً) (والنَّخَعا)
وأذكُرى ما فَعَلَ الغَرْبُ بِمَنْ هَذَّبوه وأضْنَى ما صَــنَعا
رفعوا الصُّلْبَانَ لا شافِيَةً مِن سَـــقامٍ ، وأقاموا البِيَعا
وأماتُوا سُــــنَنًا واضِحَةً مَوْتُها فى الأرْض أحْيـا البِدَعا
وَثَبَ الرِّيفُ من الغَرْبِ بِهِمْ فأثارَ الشَّرْقَ والغَــرْبَ مَعًـا
وتعالَى فى العِراقَيْنِ صَــدًى مِنْ (بَنِى الأطْرَشِ) حتَّى أسْمَعا
جَمَــعَ العِلجُ لهم فانبَعَثَتْ هَجَمَاتٌ فَرَّقَتْ ما جَمَعــا
(أتَنُوخٌ) هـذه ، أم أنْجبَتْ مَرَّةً أُخرى (تَنُوخٌ) (تُبَّعا) ؟
ذَهَبَتْ أيَّامُهُــمْ فاسْتَرْجَعوا ما أضــاعوا رُبَّ ماض رَجَعا
حضَرٌ تَفْتَخِرُ المُدْنُ بِنا أو بُدَاةٌ نَتَحَــرَّى النُّجَعا
نَضَّرَ اللهُ عُهــوداً (بالحِمَى) ســالِفاتٍ ، ورَعاها ما رَعَى
وسَـــقَى ممَّــا يَلِى «عامِلَةً» ذٰلِكَ المُصْــطافَ والمُرْتَبَعا

لا أَغَبَّ الغَيْثُ « صَيْداءَ » ولا   أَخْلَفَ النَّوْءُ المُرَجَّى « جُبَعَا »
بَلَّ « حِمْصًا » ، وتَوَخَّى « حَلَبًا »   ونَحَا « بُصْرَى » ورَوَّى « أَذْرِعا »
مُدُنٌ لو تُرِكَتْ لاتَّصَلَتْ   جَزَّءوهَا ليَسـودوا تبَعَا
دفعوا « الشأمَ » عن الحقِّ الذى   دَمُهَا سالَ عليـه دُفَعَا
يا لَهَا واقِعَةً فى « جِلِّقٍ »   جَلَّ فى حُسْبانِنا أَنْ تقَعَا
جَنَّـةُ الأَرْضِ — وما أَوْحَشَها   جَنَّـةً — بالنار عادَتْ بَلْقَعَا
مَنَحَ اللَّذَّاتِ منهـا بَلَدٌ   عبْقَرِىٌّ وأَفادَ المُتَعَـا
يا لَه حَيًّا لَقـاحًا لَعِبَتْ   فيه أَيْدى العابثِين الخُلَعَا
مَالَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ الشَّرْقُ قِرًى   — أيُّها الضِّيفانُ — زِدْتُمْ جَشَعا
لا تقُولوا : طَمَعٌ ، داؤكُمُ   جاوَزَ الحَـدَّ فأَضْحَى طَبَعا
لا رَبِحْتُمْ مِنْ تِجارٍ عَرَضوا   أَنفُسَ الأَحْرَارِ مِنَّـا سِلَعَا

يوم الشعيبة :

أشهر أيام الحرب العراقية — إن لم يكن أعظمها عند العراقيين — يوم الشعيبة ، ذلك اليوم الذى استنفر إليه أهل البلاد ، من حاضر و باد ؛ قلّت قبيلة أو مدينة لم يشهده منها رجل أو رجال ؛ أضف إلى ذلك عظيم محنة القوم فيه ؛ قد رابطوا عدة شهور فى (النخيلة) صابرين على أشياء لم يُصبَر على مثلها من جدب المكان ، وشظف العيش ، إلى أن مُنوا بذلك الخِذلان العظيم . ومجمله أنه فى أوائل صفر سـنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م . ورد بغداد « أمير الآلاى سليمان عسكرى بك » متقلداً قيادة الجيش العثمانى العامة فى العراق ، صارفاً «لجاويد باشا » ومعه فريق من الجنود التركية المدرّبة انحدر بها إلى «القرنة» وواقع الإنجليز هناك فى منتصف صفر المذكور ، فجرح جراحاً بليغة ، أعيد بسببها إلى بغداد ، وأقام فى المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج ، لـكنه أبى مع هذا أن يستقيل ، وثابر على تدبير الأمور الحربية ، متوقعاً البرء التام . ولما طال ذلك عليه قاد الجيش بذاته إلى مهاجمة الإنجليز فى وادى الشعيبة دون البصرة ، استخفافاً بعدوّه ، واعتداداً برأيه ، وثقة من نفسه ومن جنده بالفوز والانتصار ؛ فأعِدّتْ له محَفّة خاصة حمل عليها من بغـداد إلى الناصرية ، بعد أن تقدم بأن يحتشد فيها الجيش ، وكان مؤلفاً من ثلاث كتائب (الألايات) واحدة تركية ؛ واثنتان ملفقتان من العرب العراقيين والأكراد ، معها عدّة رشاشات ونحو أربعين مدفع سهل ، قام هذا الجيش فى منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ = ١٩١٥ م من الناصرية إلى المعسكر العام فى (النخيلة) مشيا على الأقدام ، و بعد يومين أو ثلاثة أيام من وصولهم زحفوا بإيعاز من القائد العام هم والعرب المجاهدون على (الشعيبة) وهاجموا الإنكليز وهم فيها أمنع من عُقاب الجو صباح الاثنين ٢٧ من الشهر المذكور هجوماً شديداً دام يومين من غير أن

يعود عليهم بطائل ، إلى أن ارتدوا فشلين ، فاغتنم الإنكليز من القوم انقطاعَ الطرق والمواصلات بهم ، وغلبة الإعياء والتعب عليهم ، وسوء أثر العطش والجوع فيهم ، فاتبعوهم وناجزوهم لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ هـ أو صباح الأربعاء ٢٩ منه مناجزة شديدة هزم فى آخرها العثمانيون وتركوا نصف ذلك الجيش بين قتيل وجريح وأسير وفقيد ، وانتحر «سليمان عسكرى بك» قائدهم العام .

نَبْتُ الرُّبا حُمْرُ أَشْـلاءٍ وأَوْرادِ ... مَنْشُورَةٌ لكَ بين القصْرِ فالوادِى

دون « الشُّعَيْبَةِ » أَجْسادٌ مُوَزَّعَةٌ ... فى البِيدِ تَوْزِيعَ أعضاءٍ بأَجْسادِ

وفى « النُّخَيْلَةِ » أَرْماسٌ مُوَثَّقَـةٌ ... علائقًا بين أَسْيافٍ وأَغْمـادِ

لِلتُّرْكِ ثَمَّـةَ أَوْتادٌ ، وأَخْبِيَـــةٌ ... فيها أُصِيبوا وشُجُّوا شَجَّ أَوْتادِ

جَيْشٌ أَقامَ ثلاثًا فى خَنادِقِها ... خالِى الحقائبِ مِنْ ماءٍ ، ومِنْ زادِ

ماءُ الفُراتَيْنِ مَوْفورٌ وحَبُّهُمـا ... والجُنْدُ غَرْثانُ مُلتاحُ الحَشا صادِى

الغَلَّةُ الغَضَّـةُ المَجْنَى الّتى نُهِبَتْ ... مَتْروكَةٌ نَهْبَ أَيْدِى الرّائحِ الغَادِى

أَقْواتُنا فى بُطونِ الذَّرِّ أَكثَرُها ... لا فى بُطونِ صَعاليكٍ وأَجنادِ

صُمٌّ مَدافِعُنا ما أَمطَرَتْ حُمَمًا ... ولَمْ تكن ذات إِبْرَاقٍ وإِرْعادِ

تُنازِلُ القومَ فاتوا ذَرْعَ فَيْلَقِنا ... بِعُدَّةٍ وكَثَرْناهُمْ بأعـــدادِ

عِشرونَ أَلفَ عِراقِىٍّ وَمِثْلُهُمُ ... حُمْرُ الحَمالِيقِ مِنْ تُرْكٍ وأَكْرادِ

مُجَمَّرُونَ تَجافَوْا عن دِيارِهِمُ ... واسْتَبْدَلوا الوَحْشَ مِنْ أَهلٍ وأَوْلادِ

مُكابِدُونَ على حالَىْ حَفًا ووَجًى ... فى الرَّمْلِ كُلْفَةَ إِغْذاذٍ وإِسْآدِ

بَحْرٌ من الرَّمْل قامتْ عن تَغَطْمُطِهِ ... تَنْزُو غَوارِبُ أمــــواجٍ وأَزْبادِ
مُهاجِمونَ — وهمْ رَجَّالةٌ كُشُفٌ ... في البَرِّ — جُمْلةَ أَسْوارٍ وأَسْدادِ
فَلَّ العَــــدُوُّ جَناحَيْهِمْ وقَلْبَهُمُ ... مِن قبلِ تَجْهِيزِ أَعْوانٍ وأمدادِ
إنَّ الدِّماءَ التي حَلَّتْ نُحورَهُمُ ... قد أَوْهَمَتْنا عُقودا فَوْقَ أَجْيادِ
تلك الجماهيرُ لا تَلْوِى على أَحَدٍ ... مُخِفَّةً بعــد أَثْقالٍ وأَزْوادِ
الصادِرون وقد أَكْدَتْ مَطامِعُهُمْ ... مِن بَعْدِ ما أَوْرَدُوها شَرَّ إيرادِ
والرَّاصِدون من «الفَيْحاءِ(١)» ثَرْوَتَها ... باتتْ مَناياهُمُ منهمْ بِمِرْصادِ
وقائدٍ حَمَــلوه في مُحَفَّتِــهِ ... إلى «الشُّعَيْبَةِ» مِن زَوْراءِ «بَغْدادِ»
أَفاتَكٌ بالعِدَى جَيْشٌ مُدَبِّرُه ... مُعَطَّلُ الجِسْمِ مُلْقًى فَوْقَ أَعْوادِ؟
جَرَى «سُلَيْمانُ» في اسْتِعْجالِ مَصْرَعِه ... مَجْرَى كُفاةٍ بأَمْرِ الحَرْبِ قُوَّادِ
قادَ الأُلوفَ فأَرْداها وأَتْبَعَهـــا ... في الحالِ نَفْسَ أَبِيٍّ غيرِ مُنْقادِ
مُخاطِرٌ عاشَ أَعْمــاراً لأنَّ له ... في إِثْرِ كلِّ نَجاةٍ يومَ مِيــلادِ
وكَثْرَةٌ أَعْجَبَتْــه مِنْ كَتائِبِهِ ... فراحَ للنَّصرِ فيهـــا أَيَّ مُرْتادِ
كأَنَّه والمَقاديرَ الَّتي سَبَقَتْ ... عَلَى مُقَرَّرِ مِيقـــاتٍ ومِيعادِ
ظَنَّ الأُلوفَ مِن الأعْرابِ تَعْضُدُه ... فكان ما ظَنَّـــه فَتًّا بأَعْضادِ
إنَّ القُصُورَ الَّتي جَلَّتْ عِمارَتُها ... أَمْسَتْ صَـــوامِعَ رُهْبانٍ وعُبَّادِ
سَقْياً لِواديك لا من ماء غادِيَةٍ ... كأَنَّ أَجْزاءَها عُلَّتْ بِفِرْصادِ

---

(١) كان هدف حملة سليمان عسكرى الاستيلاء على مدينة البصرة .

أوطار وأوطانه :

نشرتها لأول مرة مجلة « العرفان » سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٣م .

أَلاَ أَصْلِحُوا مِن شَأْنِها فهِيَ أُمَّةٌ … إلى الآنَ لا تَنْفَكُّ غامِضَةَ الشّانِ
ولا تُنْقِذُوها مِن خُمُولٍ لِنَجْوَةٍ … مِنَ العُجْبِ، إنّ العُجْبَ مَصْرَعُها الثانى
وبُلُّوا لَظَى أَحْقادِها فصُدُورُها … مَجامِرُ أَحْقادٍ ذَواكٍ وأَضْغانِ
وإنّ حَياةَ الجَهْلِ إنْ لم يَكُنْ لها … على المَوْتِ سَبْقٌ فهىَ والمَوْتُ سِيّانِ
وما هٰذه الأعمالُ إلاّ مَسالِكٌ … إلى العالَمِ الباقى مِن العالَمِ الفانى
وما خَرَّبَ الأوطانَ إلاّ قَضاؤنا … لأَوْطارِنا مَكْسُوَّةً زِىَّ أَوْطانِ
سَلِ القَوْمَ : ماهٰذا الشَّقاءُ الّذى أَرَى ؟ … ومَن ذا الّذى يُنْجِى من الخَطَرِ الدانى ؟
كأنّكَ تَدْعُو حِينَ تَدْعو حِجارَةً … وتَقْرَعُ صُمًّا من صَياخِيدِ صَفْوانِ
فلَمْ تَلْقَ منهمْ غيرَ غَفْلَةِ أَنْفُسٍ … وغَضَّةِ أَبْصارٍ ، ونَبْوَةِ آذانِ
تَناكَرُ أعداءٍ شِدادٍ تَناكَرُوا … فمَن لِتَعاطِيهِمْ تَعارُفَ إخْوانِ ؟
ولو أَنَّ بارِى الخَلْقِ قَدَّرَ أنّهمْ … يَعيشون إخوانًا لَما اُخْتَلَفَ اُثْنانِ
ولو أَنْصَفَ الناسُ الدِّيانةَ أَجْمَعُوا … على أنّها فيهِمْ نَتيجَةُ وِجْدانِ
فَلَم يَتَكَلّفْ عالِمٌ رَدَّ عالِمٍ … ولم يَصِمِ الإِنْسانُ مَذْهَبَ إنْسانِ

فكلُّ قِياسٍ ظَنَّــهُ الناسُ حُجّةً   يُرَدُّ بأُخْرَى ، مِن قِياسٍ وبُرْهانِ
ولكِنَّهمْ — حتّى ذَوِيها وأهْلِها —   بَعيدُون عن عِرْفانِها بُعْدَ كِيوانِ !
كأَنْ لم يَكُنْ إنْجيلُ عيسى بنِ مَرْيَمٍ   ولا أُوحِيَتْ تَوْراةُ موسى بنِ عِمْرانِ!
أنا شافِعِي إنْ لم يَكُنْ لىَ شافِعٌ   إلى اللهِ ، ثم الْحَقُّ حُبّي وإيمانى

* * *

خَلِيلَيَّ : صَبْرا وانْجِماعا عن الوَرَى   ولا تَطْمَعا فى الناسِ يُغْنِكُما ذانِ
وكم قَدَرٍ فيــه أعانَ صَحابتِي   وصَبْرى فكانَ الصَّبْرُ أكْبرَ أعْوانى
وعَلَّمَنى طُولُ ارْتِجــائىَ لِلْمُنَى   بأَنَّ ارْتِجائِيهِنَّ باعِثُ حِرْمَانى

الحرية والشعر

اتفقت إثر ثورة أحرار الأتراك فى سبيل طلب الدستور من السلطان (عبد الحميد) سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .

طَرَقَتْ وضاحِيَةُ النَّهارِ دُجُنَّةٌ ... والحُرُّ عَبْــدٌ ، والدُّنَى أمْلاكُ
فأضاء عنها البَرْقُ يَنْبِضُ عِرْقُه ... سِلْكاً عليه حُلَى السَّنا أَسْلاكُ
ضَحِكَ المُحِيطُ لِوَقْعِها وتَبَسَّمَتْ ... عن ثَغْرِ أَنْجُمِها لهــا الأفْلاكُ
أَنْسَا كَها الجَنَفُ المُطاعُ وأَهْلُهُ ... فمَضَوْا وأَحْيا ذِكْرَها الأتْراكُ
طَبِعَتْ عَلَى صُحُفِ الطَّبِيعَةِ أَحْرُفاً ... لا تَنْمَحِى ، أَو ينْمَحِى الإِدْراكُ
طَلَعَتْ عَلَى سِــلْمٍ وكَمْ لَمْ تَتَفِقْ ... والضَّرْبُ طَلْقٌ ، والطِّعانُ دِراكُ

***

مالى أراكَ تَقولُ : إِنِّى شاعِرٌ ... والشِّعْرُ عنــدكَ بانَةٌ وأَراكُ
الصُّدْغُ فَخٌّ ، والعِقاصُ حَبائِلٌ ... نُصِبَتْ وأَهْدابُ الدُّمَى أَشْراكُ
أَتْبَعْتَها نَظَراً خَسِرْتَ به الحِجا ... يا جانِىَ الأَشْواكِ سَوْفَ تُشاكُ
أَسَرَتْكَ حَيًّا أو سَرَتْ بك مَيِّتا ... وبذا وذلك ذِلَّةٌ وهَــــلاكُ
فالقَتْلُ لا تَأْتِى عليــه مَقادَةٌ ... والأَسْرُ لا يأْتى عليــه فَكاكُ

***

هٰذى هِىَ الصُّحُفُ الّتى صَعِدَتْ بِنا ... تَحْمِى الّتى نَزَلَتْ بهــا الأمْلاكُ
نَهَضَتْ بها هِمَمٌ إذا قاوَمْتَهــا ... بِعُهِمَّــةٍ قَعَدَتْ بِكَ الأَوْراكُ

دجلة والفرات :

اتفقت خلال جولة قام بها بين الفراتين ونشرتها مجلة « العرفان » سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م .

أَىُّ دَمْعٍ يَفيضُ مِنْ أَىِّ مُقْلَهْ ! لِوُقُوفى بين الفُراتِ ودِجْلَهْ
آهِ ياما أَدَقَّ نَظْرَةَ فِكْرى يومَ شاهَدْتُ مَوْقِفًا ما أَجَلَّهْ !
آهِ مَا أَكْثَرَ الْجَداوِلَ تَجْرِى فِى رُبُوعٍ نَعيمُها ما أَقَلَّهْ !
لَسْتُ أَبْكِى عَلَى فُراتِىَ فَرْدًا أَنا أَبْكِى عَلَى الجَزِيرَةِ جُمْلَهْ
وحَقيقٌ إِذَا تَأَلَّمَ عُضْوٌ أَنْ تُناجِى آلامُه الْجِسْمَ كُلَّهْ
جُلُّ مابِى أَنِّى أَرَى الْماءَ عَذْبًا أَخَذَ المالِحُ الأُجاجِىُّ جُلَّهْ
مَنْ تُرَى حَرَّمَ الزُّلالَ عَلَيْنَا وعلى السَّاكِناتِ فيه أَحَلَّهْ ؟
لَيْتَ مَن قال : أنتَ يا نَهْرُ سَيْفٌ لِحَشا المَحْلِ ، حَدَّ سَيْفِكَ سَلَّهْ
ما إخالُ الخَريرَ والماءَ إلاَّ صَوْتَ حُزْنٍ وعَبْرَةً مُسْتَهِلَّهْ
رُبَّ لَيْلٍ أَسْرَيْتُ فيه بِرَحْلِى مُصْحِراً أَقْطَعُ التَنائِفَ رِحْلَهْ
وبِوُدِّى لو اتَّخَذْتُ قِطارًا لا مُعاراً ، وعَجْلَةً لا شِمِلَّهْ
فامْتَطَيْنا الرِّكابَ وهىَ عِجافٌ وسَرَيْنا فى البِيدِ وهىَ مَضَلَّهْ

ودَنَوْنا (للنِّيلِ) والنيــلُ رَمْلٌ وانتهينا (لِوَاسِطٍ) وهى رَمْـلَه
أىُّ نَهْرٍ لم تبقَ ساقِيَةٌ منــ ـه ومِصْرٍ لم تبقَ منــه مَحَلَّهْ
فكأنْ لم يَكُنْ مَراحَ العَوالِى والمَعالِى ومُسْتَراحَ الْأَجِلَّهْ
وكأن لم يكن (كبغْدَادَ) شأنًا يومَ كانت ونُزْهَـةً (كالأُبُلَّهْ)

* * *

يَا خليلَىَّ إنْ تَشــاءا أسعِدانى فى شُجُونى فالخِلُّ يُسْعِدُ خِلَّهْ
عَلِّلانى بذِكْرِ نَهْضَــةِ قَوْمِى قبْلَ ألاّ أَرَى لِقلْبِى تَعِـلَّهْ
أيْنَ ذاكَ العِــراقُ؟ أيْنَ بَنُوهُ؟ ليتهمْ أبصَرُوا العِراقَ وأهْلَهْ
عَمَرُوه من كلِّ أفْرَعَ سامٍ يَسْتَنِىءُ السَّارُونَ فى الشَّمْسِ ظِلَّهْ
أدِيارٌ؟ لا، بل مَكَامِنُ أُسْدٍ ورِجالٌ؟ لا، بل لُيُوثٌ مُدِلَّهْ
أوَ لَمْ تَكْفِ عِلَّةُ الفَقْرِ قوْمِى فاسْتَزادُوا مِنَ الجَهالَة عِلَّهْ؟
مُخْطِئٌ مَنْ يَزِيدُ فِى السَّيْفِ كَلًّا ثُلْمَةً أَو يَزِيدُ فِى الطِّينِ بِلَّهْ

* * *

أيّها الآخِرونَ هَلاَّ أراكُمْ كالأَوالِى، والفَرْعُ يَتْبَعُ أَصْلَهْ
والعَفَرْنَى مالم يرَ الشِّبْلَ يَمْضِى مُسْتَجِيبًا لِلْفَتْكِ أَنْكَرَ شِبْلَهْ
انظُرُوا أيّهــا المَغافِيلُ مَاذا صَــنَعَ الْجَهْلُ فِيكُمْ لا أَبًا لَهْ(١)

(١) ذكر أبو على القالى فى أماليه أنه يجوز التنوين فى قوله: «لا أبا له» فتقول: «لا أباً له» كما هنا.

كلُّ فِكرٍ أماتَه ، كلُّ حيٍّ الـ * ـجِدِّ أعْيَاهُ ، كلُّ خيرٍ أقَلَّهْ
يا دَمَ الميّتينَ كلُّ بَرىءٍ دَمُهُ الْجَهْلُ لا الحديدُ أطَلَّهْ

* * *

آهِ لَوْ مَثّلُوا لىَ الْجَهْلَ شَخْصًا وتَقَاضَوْا إلىَّ حَلّلْتُ قَتْلَهْ
كم قتيلٍ — والجَهْلُ للصّدْرِ أرْدا هُ — صَريعٍ ، والجَهْلُ لِلْوَجْهِ تلَّهْ
آهِ أَرْضَ العِراقِ مَهْبِطَ عِزٍّ كنتِ ـ يالاَ ـ رَجَعْتِ مَهْبِطَ ذِلَّهْ
كنتِ لِلْمَجْدِ وجْهَةً ، لِلأمانى كَعْبَةً ، للمَحامِدِ الغُرِّ قِبْلَهْ
أتَقَدَّمْتِ والْحُكُومَةُ فَرْدٌ ؟ وتَقَهْقَرْتِ والْحُكُومَةُ مِلَّهْ
لَيْتَنى لا أرَى الغَباوَةَ طَبْعاً عنــد أهليكِ ، والجُمودَ جِبِلَّهْ
كَمْ فَتًى فى العِراقِ أضْحَى مُقِلاًّ مِنْ كَمالٍ وكَمْ فَتَــاةٍ مُقِلَّهْ ؟
رُكِسَا فى غَيابَةِ الجَهْلِ حتَّى لم يَسَعْ جَهْلَها المُحِيطُ وجَهْلَهْ
قد تَرَبَّى عن النُّهَى مُسْتَقِلاًّ وتَرَبَّتْ عن الحِجا مُسْتَقِلَّهْ
لا تَسَلْنى عن اقْتِرانِ الخَلِيلَيْـ * ـنِ ازْدِواجًا فَمَا اقْتِرانُ الأهِلَّهْ
سُــوءُ عَيْشٍ مَلّتْه مِمَّا رَأَتْه وهو مِمَّا رَأى جَفــاهُ ومَلَّهْ
كلَّ يومٍ بين الفريقَيْن حَرْبٌ حَمْـلَةٌ تَخْلَعُ القُلُوبَ فحَمْـلَهْ

على ضفاف دجلة :

اتفقت سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ، وقد نشرتها جريدة « البرق » البيروتية لأول مرة فى عددها ١٣٤ من السنة الثالثة .

يَدٌ (لدِجْلَةَ) عندى لَسْتُ أَجْحَدُها   إلاّ إذا جَحَدَتْ سَلْسالَهَا الْهيمُ
حَلَفْتُ — يالَيْلَ تَعْرِيسِى — بشاطِئِها   ألاّ يَميلَ برأْسِى عَنْكَ تَهْوِيمُ
إذ كُلُّ زَمْزَمةٍ فى الكَوْنِ هَيْنَمَةٌ   بل كلُّ ما فيه تَغْرِيدٌ وتَرْنيمُ
لِى فى الرِّياضِ إذا أَمْرَعْنَ فَلْسَفَةٌ   وحِكْمَةٌ مِلْءُ مَرْآها تَعاليمُ
ظَواهِرٌ عَمَلِيّاتٌ فليس بها   مَذاهِبٌ نَظَرِيّاتٌ وتَقْسيمُ
دَرْسُ الخَمائِلِ مَعْقولٌ ومُخْتَبَرٌ   ودَرْسُ أَكْثَرِما فى الكُتْبِ مَوْهومُ
مَرْقُومَةٌ بأَزاهِيرٍ مُنَوَّعَةٍ   وأُفْقُها بالنُّجومِ الزُّهْرِ مَرْقومُ
السُّحْبُ أَرْخَتْ عليها قَطْرَها إِبَرًا   مِنْهُنَّ صَدْرُ الرُّبَى بالنَّبْتِ مَوْشومُ
ماقِيمَةُ الشِّعْرِ فى تَصْويرِها وبِها   شِعْرُ الطَّبيعةِ مَنْثُورٌ ومَنْظومُ

* * *

يا ماءَ (دِجْلَةَ) عَذْبًا فى مَوارِدِه   لَأَنْتَ فى كَبِدِ (الفَلّاحِ) يَحْمُومُ
الفَقْرُ فيك مَذُودٌ وهو مُفْتَقِرٌ   والبَحْرُ منكَ مَجُودٌ وهو مَحْرُومُ
الظُّلْمُ يَنْفيكَ عن أَهْلِيكَ مُضْطَهِدًا   أَأَنتَ أَمْ كلُّ ماءِ الأَرْضِ مَظْلومُ ؟

نَادَيْتُ: قَوْمِي، وحَقُّ القَوْمِ مُغْتَصَبٌ وصِحْتُ: شَعْبِي، وحَقُّ الشَّعْبِ مَهْضُومُ
مالي أرَى الأرْضَ جَنّاتٍ، وأَرْضُكُمُ — يا أُمَّةَ الخَيْرِ — مَوْمَاتٌ ودَيْمُومُ
عَجَزْتُمُ فحَيَاةُ المَرْءِ عِنْدَكُمُ إلى السَّمٰوات تَفْوِيضٌ وتَسْلِيمُ
أَدْعُوكُمُ وغُرُوبُ العَيْنِ دامِيَةٌ وأسْتَثِيرُ وجَنْبُ القَلْبِ مَكْلُومُ
مُحَيَّرُونَ قد اسْتَهْوَى عُقُولَكُمُ جَهْلٌ، وبعضُ ضُرُوبِ الجَهْلِ (تَنْوِيمُ)
إذا سَمَوْنا بِجِيدٍ فهوَ مُنْأَطِرٌ وإن عَطِسْنا بأَنْفٍ فهو مَخْطُومُ

***

يا قَوْمُ ما الدِّينُ عاداتٌ مُعَطَّلَةٌ وإنّما الدِّينُ تَحْلِيلٌ وتَحْرِيمُ
وما السِّياسةُ ما الأوْهامُ فاعِلَةٌ تَحَكُّمٌ كَيْفَما شاءتْ وتَحْكِيمُ
لا تَجْعَلُوا آلَةَ التَّفْرِيقِ دِينَكُمُ فالدِّينُ عن وَصْمَةِ التَّفْرِيقِ مَعْصُومُ

***

إنِّي رَأَيْتُ غُصُونًا في مَنابِتِكُمْ إذا عَسَتْ لم يُثَقِّفْهُنَّ تَقْوِيمُ
متى إذا حَثَّ إقْلِيمِي شَقاشِقَه عَجَّتْ تَرُدُّ صَداهُنّ الأقالِيمُ
أَظْهَرْتُ بعضَ عَناءٍ لَسْتُ أَكْتُمُه لكنَّ جُلَّ عَناءِ النَّفسِ مَكْتُومُ
لولا اصْطِبارِي عَلَى ما كُنْتُ أَشْهَدُه لانْدَقَّ مِنِّي قَرًا وانْقَدَّ حَيْزُومُ
سُخْطُ امْتِعاضٍ وبَعْضُ السُّخْطِ مُحْتَمَلٌ وغَيْظُ نَفْسٍ وبَعْضُ الغَيْظِ مَكْظُومُ
إنِّي نَظَرْتُ ابْنَ جَهلٍ وابْنَ مَعْرِفَةٍ والجَهْلُ في النَّاسِ كالعِرْفانِ مَقْسُومُ
إذا هُما اثْنانِ: مَرْفُوعٌ، فمُنْخَفِضٌ إلى الحَضِيضِ، ومَوْجُودٌ فمَعْدُومُ

الحِكميّات

وهو باب ينتظم ما له من القصائد والمقطَّعات فى موضوع الأمثال
وسرد العِبَر والعِظات ، والتعبير عن خَلَجات النفس

الشعر بين الحق والباطل :

يُسائلُنى مَن لو درَى لم يُسائِلِ ... أنا الآنَ فى شُغْلٍ عن الرَّدِّ شاغِلِ
ويَطْلُبُ مِنِّى أن أقولَ ولَم أشأْ ... ولو شِئْتُ لَمَ أَتْرُكْ مَقالاً لِقائلِ
مِنَ الْحَقِّ حَبْسُ الشِّعْرِ إلّا لِغايَةٍ ... تُفَرِّقُ فيها بينَ حَقٍّ وباطِلِ
إذا أنتَ كابَرْتَ الحَقيقةَ عَبَّرَتْ ... فَصاحَةُ (قُسٍّ) عن فَهاهَةِ (باقِلِ)
كَفَى الشِّعْرَ ذَمًّا أَنَّ لِلشِّعْرِ قائِلا ... وما هو إلاّ قائلٌ غيرُ فاعِلِ
ولا خَيرَ فى شِعْرٍ إذا لم يَقُمْ به ... خُمولُ نَبيهٍ ، أو نَباهَةُ خامِلِ
إذا قُلتُ : إنّ الشِّعْرَ بَحْرٌ غَبنْتُه ... متى يَسْتَقيمُ البَحْرُ مِنْ غَيْرِ ساحِلِ ؟
قَرائحُنا منها بُحورٌ خَضارِمٌ ... ومنها — إذا جَرَّبتَ — رَشْحُ الجداولِ
وأَجْمَعُ أَقْوالِ الرِّجالِ أَسَدُّها ... مَعانٍ كِبارٌ فى حُرُوفٍ قَلائلِ
وقد يَفْضُلُ البيتُ البليغُ قَصيدةً ... مُطَوَّلَةً ، لكنْ عَلَى غَيْرِ طائلِ
وقد يَبْلُغُ اللَّفْظُ القَصيرُ رِسالةً ... إذا عُدَّت الألْفاظُ رُوحَ الرَّسائلِ
بَلاغَةُ « سَحْبانٍ » وَراءَ لِسانِهِ ... وأَبْلَغُ منه قَلْبُ « سَحْبانِ وائلِ »
وكم أَفَلَتْ من مَطْلَعِ الشِّعْرِ أَنْجُمٌ ... وكم ذَرَّ منه شارِقٌ غيرُ آفِلِ
وكم رَاجِلٍ فى حَلْبَةِ الشِّعْرِ رامَها ... فأَصْبَحَ فيها فارِسًا غيرَ راجِلِ !

يَرَى هَجْرَ مالمْ يَنْسَجِمْ مِن كَلامِهِ كما هُجِرَتْ عن عِلَّةٍ راءُ (واصِلِ)
وساجَلَهُ قَوْمٌ إلى أن رَماهُمُ بما كَفَّ مِنْ غَرْبِ الفَريقِ المُساجِلِ
وكم شُعَراء فى القَبائلِ غَبَّرُوا بما أنْشَئُوه فى وُجوهِ القَبائلِ
إذا نبَغُوا فى قَوْمِهِم حَفَلُوا بِهِمْ وَلَمْ يَعْهَدُوا مِنْ قَبْلُ عَقْدَ المَحافِلِ
نَشِيدُكَ مِن أبْياتِ شِعْرٍ نَواقِصٍ دَليلٌ عَلَى أبْياتِ شِعْرٍ كَوامِلِ
عُقودٌ من الدُّرِّ المُنَظَّمِ فُصِّلَتْ وهل زانَ عِقْدَ الدُّرِّ غيرُ الفَواصلِ ؟
عَقائلُ عَقْـلِ الألْمَعِيِّ أرَى لها مِنَ الصَّوْنِ عندى ما أرَى لِلعَقائلِ
أمَا رَفَعَ (الطائِيَّ) فى الذِّكْرِ نَعْتُنا وتَشْبِيهُنا أشْـعارَه بالسَّلاسِلِ ؟
وما لَتْ إلى الشَّيْخِ الكِنانِيِّ أُمَّةٌ وقد باتَ ذا شِقٍّ مِن الداءِ مائلِ
وما حالَ يا(عَمْرُو[1]) بنَ بَحْرٍ وِدادُنا وإن صِرْتَ ذا لَوْنٍ من السُّقْمِ حائلِ
سُلافُ الكُئُوسِ السائلاتِ لَطافَةً جرَى مِن لُعابٍ بين شِدْقَيْكَ سائلِ
مِنَ الشِّعْرِ هَزْلٌ مُسْتَفادٌ ورُبَّما أتاكَ صَرِيحُ الجِدِّ مِن هَزْلِ هازلِ
وتُعجِبُنا منه حَقائقُ جَمَّةٌ على أنها مِنَّا تَخاييلُ خائلِ
أُحاوِلُ طَوْراً منه صَعْبًا وطالَما أتَى طائعاً ، حاوَلْتُ أمْ لَمْ أُحاوِلِ
ويَلْذَعُنى منـه شَرارٌ قَدَحْتُـه وقد أتَلَقَّى منـه ريَّا الخَمائلِ

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وفى هذه الأبيات الثلاثة تضمين للجملة البليغة التى فاه بها فى جواب سؤال عن حاله وهو مريض مفلوج فقال : شِقٌّ مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل .

تَرَى الذِّهْنَ حِيناً حَائلاً غيرَ لاقِحٍ ... بشىءٍ ، وحِيناً لاقِحًا غيرَ حائلِ
أَهِيمُ بسِرِّ الإبْتِكارِ لأنّنِى ... ـ وقدطالَعَهْدِى ـ لا أَرَى غيرَ ناقلِ
ويَحْزُنُنى أَنّ الأواخِرَ قَصَّرُوا ... ولَمْ يَنْزِعوا فِى الفَضْلِ نَزْعَ الأوائِلِ
ولَمْ يَرِثوا مِنْ دَيْدَنِ القَوْمِ قَبْلَهمْ ... سُؤالَ مُجيبٍ ، أَو إِجابَةَ سائلِ
متى تَنْجَلِى هٰــذى القُلوبُ فإنّهَا ... رِقاقُ صِفاحٍ فى أَكُفٍّ صَياقِلِ ؟

* * *

عَفَتْ (بابلٌ) أمُّ (العِراقِ) وجَدَّدَتْ ... مَعانيكَ ـ إِذْ أُوتيتَهَا ـ سِحْرَ (بابِلِ)
مَعانِيكَ أَرْواحٌ هَيا كِلُها اللُّغَى ... وسِرُّكَ فى الأرواحِ لا فى الهَيا كِلِ
تَمُرُّ بكَ الأَسْرابُ مِنْ كلِّ خاطِرٍ ... فَتَنْقَضُّ فيهنّ انْقِضاضَ الأَجادِلِ
وتَسْجَعُ أَلْحانًا تُثِــيرُ بَلابِلاً ... وتُنْسِى حِسانَ الطَّيْرِ سَجْعَ البَلابِلِ
تُسافِرُ مِن مَعْنًى بَعيــدٍ لِآخرٍ ... وتَطْوِى سُهوبَ الفِكْرِ طَىَّ المَراحِلِ
إِذا ارْتفعتْ نَفْسٌ وجَلَّتْ تَعَشَّقتْ ... جَلالَ المَعانِى ، لا جَلالَ المَنازِلِ
أَرَى غُرْبَةَ الإِنْسَانِ شَتَّى صُنُوفُها ... وأَعْظَمُها لِقْيانُ مَن لم يُشاكِلِ
وما كُلُّ رَبْعٍ غَصَّ بالناسِ آهِلٌ ... إِذا كان مِن مَعْروفِهِمْ غيرَ آهِلِ
شَكا الناسُ فَقْدَ الْمُجْمِلينَ ولَيْتَهُمْ ... دَرَوْا أَنّ ما نَشْكوه فَقْدُ الْمُجامِلِ
يَرومُونَ مِن فَرْضِ الْمَغارِمِ سُؤْدُداً ... وقد سَوَّدَ الساداتِ حَمْلُ الحَمائلِ
يُقِرُّ لِعَيْنِى أَنْ تُطالِعَ صاحِبًا ... إِذا طالَ فى الأقْرانِ لمْ يَتطاوَلِ

أخا شدَّةٍ فى الْعَيْشِ يَزْدادُ رِقَّةً عَلَى رِقَّةٍ فى الرُّوحِ لا فى الغَلائِلِ
يُعالِجُ أَضْــدادَ الطِّباعِ بمِثْلِها ويُلْفَى بمُرِّ الْبَأْسِ حُلْوَ الشَّمائِلِ
يَهُونُ خُرُوجُ المَرْءِ مِن كلِّ مَأْزَقٍ إذا اُعْتادَ ـ فيما اُعتادَ ـ لُطْفَ المَداخِلِ
مِنَ الطَّبْعِ والذَّوْقِ السَّليمِ أَدِلَّةٌ كَفَتْ ناقِدَ الأشْياءِ وَضْعَ الدّلائلِ
إذا قام حُسْنُ الشَّىْءِ فى حَدِّ ذاتِهِ فإثْباتُ ذاكَ الْحُسْنِ تَحْصيلُ حاصِلِ
أَضاعَ صَوابِى عامِلٌ غيرُ عالِمٍ سَيُسْأَلُ عنــه عالِمٌ غيرُ عامِلِ
أَحَبُّ إِلَى الدَّيَّانِ مِنْ عِلْمِ عالِمٍ ـ إذا هو لم يَنْفَعْ به ـ جَهْلُ جاهِلِ
إذا لم يَزِدْكَ الْعِــلْمُ تَقْوَى وعِفَّةً فَمِنْ قِلَّةِ التَّحْصيلِ حِفْظُ المَسائِلِ
وطَعْنُكَ فى أَحْسابِ قَوْمٍ ذَريعةٌ إلى الطَّعْنِ فى لَبّاتِهِمْ والشَّواكِلِ
ومَن يَدَّعِى أَنَّ المِراءَ فَضِــيلةٌ فإنِّى أَرَى الإيمانَ رَأْسَ الْفَضــائِلِ
تَزُولُ ظِلالُ الْخَلْقِ عنّا سَريعَةً ولِلّهِ ظِلٌّ فَوْقَنا غــيرُ زائِلِ
مِنَ الْجَهْلِ لا مِن صِحَّةِ الْعَقْلِ أَنّنا نُحَــكِّمُ فى الأَقْدارِ أَوْهامَ عاقِلِ
تَداوَلَتِ الأيّامُ والْحُقْبُ بَيْنَنا لتُلْهِمَنا إكبارَ شأْنِ المُــداوِلِ
أُمُورٌ بإِسْــعافِ المَقاديرِ نِلْتُها عَلَى حينِ أَعْيا نَيْلُها بالوَســائِلِ

* * *

أَتَأْمُلُ أَنْ تَرْقَى إلى الْحَقِّ سُلَّمًا ؟ وتَقْعُدُ عَجْزًا ، تلك آمالُ آمِلِ !
تَوَسَّطْ تَزِدْ شَأْنًا فَفِى الْكَفِّ خَمْسَةٌ وأَطْوَلُ مَا فِى الْكَفِّ وُسْطَى الأَنامِلِ

* * *

خُذِ الْحِذْرَ، أو لا تأْخُذِ الحِذرَ إنَّنى — إذا جاء أمْرُ اللهِ — بادِى الْمَقاتِلِ
وما هالَنى كالْمَوْتِ شىءٌ فإنَّنِى أَرَى كلَّ شىء غَيْرِه غيرَ هائلِ
لقدْ فَشِلَت أَوْهامُنا وتَخاذَلَتْ مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَفْشَلْ ولَمْ يتَخاذَلِ
سأَقْتُلُ دَهْرِى خِـبْرَةً وتَجارِبًا ولا رَدَّ لِلْمَوْتِ الَّذِى هوَ قاتِلِى
كأنَّ الْبرَايَا فى الوُجودِ قَوَافِلٌ تَسِيرُ إلى الأجْداثِ إثْرَ قَوافِلِ
فثَمَّةَ رَكْبٌ عاجِلٌ غـيرُ آجِلٍ وثَمَّةَ رَكْبٌ آجِلٌ غـيرُ عاجِلِ
عُبُورُكَ مِنْ وَادِى التَّقَلُّبِ رِحْلَةٌ إلى دارِكَ الأُخْرَى فكُنْ خَيْرَ رَاحِلِ

همٌّ على ثقيلٌ هذه الكتب :

مما اتفق له سنة ١٣٤١هـ = سنة ١٩٢٢م ونشرتها جريدة العراق البغدادية لأول مرة .

هى الرَّسائِلُ والأَشْعارُ والخُطَبُ ... هَمٌّ عَلَىَّ ثقيلٌ هٰــذه الكُتُبُ
أَحَقُّنا بَعْدُ بالتَّعليمِ طائِفَــةٌ ... شعارُها العِــلْمُ والتَّعليمُ والأَدَبُ
أَخْلَى الرِّجالِ مِن التَّدْريبِ مَنْ أُخِذَتْ ... عنه التَّجارِبُ ـ أُخْذَ النَّصِّ ـ والدُّرَب
إِحْدَى العَجائِبِ عَدًّا أَنْ يُثَقِّفَنا ... قَوْمٌ ثَقافَتهُمْ فِى أَرْضِــنا عَجَب
مِنْ مَعْدِنِ الشَّرِّ ما سَنُّوا وما شَرَعُوا ... ومِنْ مَعانِيهِ ما خَطُّوا ومَا كَتَبوا
قالوا : عَقَلْنَا مِن الدُّنيا حَقائِقَهَا ... وما جَهِلْنَا ، أَجَلْ ، قالوا وقد كَذَبوا
ضَرورةُ الجَهْلِ فى الدُّنيا مُسَبَّبَةٌ ... عن كَوْنِ أَشْياءَ لا يُدْرَى لهَا سَبَبُ
أَقَرَّ قَوْمٌ بِهـا لٰـكِنَّهمْ وَصَلُوا ... واُغْتَرَّ غيرُهُمُ لٰـكِنَّهمْ حُجِبوا
مِنْ رَغْبَةِ النَّفْسِ فى تَحْقِيقِ شَهْوَتِهَا ... تَعَلَّقَ الشَّكُّ فى الاذْهَانِ والرِّيَبُ
وكَمْ خَبيئَةِ غَيْبٍ غَــيرِ واجِدَةٍ ... كُفُوًا مِن القَوْمِ رَدَّتْهُمْ وقد خَطَبوا
مَغَارِبُ الأَرْضِ لاَ تَهْوَى مَشارِقَهَا ... هَيْهَاتَ نَدْنو ـ نَعَمْ ـ هَيْهَاتَ نَقْتَرِبُ
إذا رَغِبْنَا بِمَـا يَحْلُو لنَا زَهِدُوا ... وإنْ زَهِدْنَا بِمَـا يَحْلُو لهمْ رَغِبوا
يُجانِبونَ مَآتِينــا فنأْلَفُهَا ... ويَأْلَفونَ مَآتِيهِمْ فَنَجْتَنِبُ

لكلِّ قُطْرٍ مِن الأقْطَارِ وِجْهَتُه ... تَقْضِى المِيَاهُ بما تَخْتارُ والتُّرُبُ
الشَّرْقُ مَشْرِقُ نُورِ اللهِ قَبْلَهُمُ ... والقَوْمُ إنْ أشْرَقوا آنًا فقد غَرَبُوا

***

ما زالت العُرْبُ قبلَ الآنَ ناهِضَةً ... فلا تقولوا إذَنْ : فَلْتَنْهَضِ العَرَبُ
لا فَخْرَ لِلنَّاسِ مالَمْ يَهْتَدُوا بِهِمُ ... أَيَنْزِلُ الوَحْىُ، أم تأْتِيهِمُ الكُتُبُ؟
تَطولُ مَرْضاتُهُمْ لِلّهِ فاطِرِهِمْ ... حتَّى إذا أمْكَنَتْهُمْ غَضْبَةٌ غَضِبوا
عليهمُ مِنْ حُقوقِ النَّاسِ ما لَهُمُ ... إنَّ الحُقوقَ تُؤَدَّى حينَ تُكتَسَبُ
مَنْ لَمْ تَفُتْهُمْ على حالٍ نَوَافِلُهُمْ ... أَيَتْرُكونَ — مَعاذَ اللهِ — ما يَجِبُ؟
إذا انْتَسَبْتَ انْتَسِبْ فى آلِ مَعْدَلَةٍ ... اَلْحَقُّ عندهمُ - لا الباطِلُ - النَّسَبُ
يُضَيِّعُ الشَّرَفَ المَوْروثَ صَاحِبُه ... إلّا إذا ظاهَرَ الموْروثَ مُكْتَسَبُ
تَعْلُو فُروعُ أُناسٍ خَسَّ أَصْلُهُمُ ... إنَّ الرِّماحَ العَوالى أَصْلُها قَصَبُ
رِحْمُ المَوَدَّةِ مَوْصولٌ وكَمْ رَحِمٍ ... مَسَّتْ مَناسِبَ أَقْوَامٍ وهُمْ جُنُبُ
مِنْ آدمٍ ثُمَّ مِنْ حَوَّاءَ زَوْجَتِهِ ... لِلنَّاسِ أُمٌّ - نَمَتْهُمْ كُلهمْ - وأَبُ

***

فى كلِّ صَدْعٍ من الدّنيا وناحِيَةٍ ... شَعْبٌ يُكابِدُ صَدْعًا ليس يَنْشَعِبُ
اَلمالُ مَأْرَبُ كلٍّ مِن صِناعَتِهِ ... بئس الصِّناعةُ لا كانت، ولا الأَرَبُ
يَسْتَعْجِلونَ مِنَ الأَعْواضِ أَعْجَلَهَا ... أَيْنَ التَّطَوُّعُ فى الأَعمالِ والقُرَبُ

يُقَيِّضُ اللهُ رِزْقًا غيرَ مُحْتَسَبِ   إذا مَضَى عَمَلٌ فى اللهِ مُحْتَسَب
نَسْعَى ونَقْعُدُ والأَقْدَارُ حاكِمَةٌ   سِيّانِ فيها سُكونُ النَّفْسِ والطَّلَبُ
لا تَمْلِكُ النَّفسُ مِنْ حِرْصٍ كِفايَتَها   ولو أَفاقَتْ كَفَاها الماءُ والعُشُبُ
مُفادُ كلِّ أُناسٍ مِنْ صَنائِعِهِمْ   مِقْدارُ ما أَكَلوا منها وما شَرِبوا
خَلِّدْ لِنَفْسِكَ فى العُقْبَى ذَخيرَتَها   وراعِ عُمْرَكَ إنَّ العُمْرَ مُنْتَهَبُ
لِسانُ حالِ الرَّزايا قائِلٌ : لَعِبِى   جِدٌّ ، فياوَيْلَ قَوْمٍ جِدُّهُمْ لَعِبُ
أَعَدَّ مِنْ فَلَكِ الأَفْلاكِ رافِعُهُ   رَحًى تَدُورُ علينا قُطْبُها القُطُبُ
لاقَى الجِهاتِ على الدُّنْيَا وأَطْبَقَها   مَنْ ليس يُمْكِنُ منه الفَوْتُ والهَرَبُ
لو خُلِّيَ الفَلَكُ الأَعْلَى لقارَعَنا   بالنَّيِّرَاتِ ، ووالَتْ رَجْمَنا الشُّهُبُ
ولو تَأَمَّلَتِ الغَبْراءُ لاَضْطَرَبَتْ   مِنْ أَنَّها لِرِكابِ الجَهْلِ مُضْطَرَبُ
الخَيْرُ يَظْلَعُ والشَّرُّ القَرِينُ له   مُشَمِّرٌ ، مَشْيُه التَّقْرِيبُ والخَبَبُ
يَجِيءُ مِمَّا يُسَمِّى الناسُ أَنْدِيَةً   نادٍ مُسَنَّدَةٌ فى صَدْرِهِ خُشُبُ
لِلعاجِزِينَ مِنَ الأَعْذارِ واهِيَــــةً   ظَهْرٌ مَتَى اسْتَوْطَئُوه مَرْكَبًا رَكِبوا
قَضَتْ عَلَيَّ بأَنْ أَشْقَى فما سَكَنَتْ   نَفْسٌ إذا واثَبَتْها مِحْنَــةٌ تَثِبُ
مُرَزَّأٌ كُلَّ حِينٍ قَلْبُ صاحِبِها   فما تَطِيشُ به الأَرْزاءُ والنُّوَبُ
تَوَقَّعِي قِلَّةَ الإِنْصافِ وانْتَظِرِى   فَقَدْ تَكاثَرَتِ الأَلْقابُ والرُّتَبُ

جولة في الغابرين :

أَنَّى تَلَفَّتَ أَوْحَشَتْهُ الدّارُ أَدَرَسْتِ لا عَيْنٌ ولا آثارُ ؟
يادارُ بَهْجَتُها انطَوَتْ فكأنَّها صارت إلى حيثُ الأحِبَّةُ صارُوا
يَسْتَخْبِرُ المُتَعَرِّفون طُلولَها كلاّ ، فما بَقِيَتْ لهــا أَخْبارُ
ويُطالِعُ المُتَوَسِّمون رُسومَها فكأَنَّ شُعْثَ رُسومِها أَسْفارُ
أَيقَنْتُ أَنَّ الدائراتِ كَثيرَةٌ ما دُمْتَ يافَلَكَ الزَّمانِ تُدَارُ
ولَقَدْ ذَكَرْتُ دِيارَهُمْ ورُبوعَها لِلْوَحْشِ بعــد قَطينِهِنَّ دِيارُ
ورأَيتُ (واسِطَ) في (العِراقِ) وأَشْرَقَتْ للعَـيْنِ (سامَرّاءِ) (والأَنْبارُ)
عَدَّدْتُ هاتِيكَ الدِّيارَ ومِثْلَها ورَقَمْتُها فإذا هِيَ الأَصْفارُ
فعَلِمْتُ أَنِّي في سَمــاءِ تَخَيُّلٍ وعَرَفْتُ أَنَّ نُجومَها الأَشْعارُ
ودَرَجْتُ أَسْبَحُ في الخَيالِ فَمَرَّ بي شَبَحٌ عليــه سَكينَةٌ ووَقارُ
أَوْحَى إِلَيَّ فكان هَمْسُ بَيانِهِ «لا أنتَ أَنتَ ، ولا الدّيارُ دِيارُ»

خواطر فلسفية :

هىَ خَطْرَةٌ لكَ مِنْ وَراء سِجافِ ... هَزَّتْ عَلَى بُعْدِ المَدَى أَعْطافِي
ما أَبْصَرَتْكَ ولا رَأَتْكَ نَوَاظِرِى ... حتَّى رآكَ عَلَى الخفاء شَغافِي
مُتَجَرِّداً خلعَ الكَثِيفَ ولمْ يزَلْ ... يَسْعَى إليك بجَوْهَر شَفَّافِ
تَشْقَى النُّفوسُ مع الجُسوم وهل ترَى ... للدُّرِّ مَعْنًى وهوَ فى الأَصْدافِ ؟
ما آنِ جازَهُما الظِّماءِ ، فآجِنٌ ... طَرْقٌ إلى جَنْبِ المَعِينِ الصَّافِي
إن لم أَرِدْ تلك الَّتِى تُرْوِى الظَّما ... فلَرُبَّما نَقَعَ الصَّدَى إشْرافِي
خَيْرُ الوِصالِ طَبيعةٌ إذ طالَمَا ... ظَهَرَ التَّطَبُّعُ فى وِصالِ الجافِي
ياناشِدِى الأَثَرَ الجديدَ اسْتَيْئَسُوا ... مِنْ طُولِ نِشْدانِ القَدِيمِ العافِي
بَقِىَ القَدِيمُ ، وإنَّما جَدَّدْتُمُ ... ضَرْباً من الأسماء والأَوْصافِ
خَيْرُ الحَوادِثِ ما أَنَارَتْ شُبْهَتِى ... وجَلَتْ عَمَاىَ وجَدَّدَتْ إِرْهافِي
أَيْنَ الكَهامُ كثيرةً نَبَواتُه ... صَدِئَ الفِرِنْدِ ، مِن الفِرِنْدِ الصافِي
خَيْرًا أَرَى لكِ أَنْ أَخافَ لِتَأْمَنِى ... يا نَفْسُ مِنْ أن تَأْمَنِى لِتَخافِي
تِلْكَ الخُطوبُ ـ وما أَجَلَّ عَدِيدَها ـ ... مَلَكَتْ يَدِى وتَعاوَرَتْ أَطْرافِي
إِنِّى اتَّقَيْتُ مِنَ العَوادِى أَسْهُمًا ... فأَصَبْتُها نفَذَتْ وَراءَ شَغافِي

أسْرَفتُ آمنُها وهٰــــذا مُنْتَهى ما كان مِنْ شَطَطِي، ومِنْ إسْرافي
لى نِيَّةٌ للدَّهْرِ فيها نِيَّـــــةٌ والحُـكْمُ لِلْمُسْتَقْبَلِ الـكَشّافِ
نَظَرٌ إلى المـاضى ، وجِدٌّ عَمايَةٍ فى الحال ، تلك مَزِيَّةُ الأشْرافِ
ضَرَبَ العَفاءُ عَلَى المَآثِرِ كُلِّها وتُنُوسِيَتْ بتَذَكُّرِ الأسْلافِ

نظرة فى الحياة :

مما أتفق سنة ١٣٢٩هـ = ١٩١١م وقد نشرت فى العدد ١٣٠ من السنة الثالثة من جريدة البرق البيروتية .

نَظَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا فأَسْرَرْتُ أَنَّها ... عَلَى الشَّرِّ لاَ تَنْفَكُّ تَجْرِى النَّحائِت
هُمُ أَضْمَرُوا حُبَّ الْمَظَالِمِ فاُسْتَوَتْ ... دَخَائِلُهُمْ ، والظَّاهِرِ الْمُتَفَـاوِتُ
سَوَائِمُ يَرْعَى بَعْضُها دَمَ بَعضِها ... شَتاتاً وهَلْ تَحْمِى السُّروحَ الشَّتائِتُ
غُصونُ حُجورِ الْأُمَّهاتِ اُهْتَصَرْنَها ... فَهُمْ نَبْتُها الْأَحْوَى ، وهُنَّ الْمَنابِتُ
إِذَا نَزَلَتْ دَهْماءُ سَلاَّكَ جَازِعٌ ... ومَا هُوَ إِلاَّ أَسْفَعُ الْقَلْبِ شامِتُ
نَوَاظِرُهُمْ لِلْمُنْكَراتِ طَوامِحٌ ... وأَعْنـــاقُهُمْ لِلْمُوبِقاتِ لَوافِتُ

* * *

ولَيْلَةِ فِكْرٍ بِتُّ أَقْتُلُ طُولَهَا ... وفِى عُرْضِها صَوْتُ الطَّبِيعَةِ خَافِتُ
قَلَبْتُ عَلَيْها الطَّبْعَ ، لاَ الفَمُ نَاطِقٌ ... بِمَا كَانَ يُوحِى لِى ، ولاَ الْقَلْبُ سَاكِتُ
وسَرَّحْتُ فى التِّسْعِ السَّوائِرِ نَاظِرًا ... قَضَى حَقَّها فاسْتَوْقَفَتْهُ الثَّوابِتُ
فَيا زينَةَ الدُّنْيا تَلَعْثَمَ واصِفٌ ... مَشارِقَكِ الْحُسْنَى ، وتَمْتَمَ ناعِتُ

ويا عالَمَ الأفلاكِ غيَّرَكَ المَدَى ؟ وهَلْ أَثَّرَتْ فيكَ العُصورُ الفَوائتُ ؟
وهلْ فيكَ مِثلُ الأرضِ عادٍ وعادِلٌ ووافٍ ورَوّاغٌ ، وراضٍ وماقِتُ ؟
وهلْ فيك مَنْ يَحْيَا حياةً جَديدةً ومُنْدَرِسٌ رَثٌّ العَوائِدِ مائِتُ ؟
وهلْ فِيكَ حَيْرانٌ وآخَرُ مُهْتَدٍ ؟ وهَلْ فِيكَ هَدَّارٌ وآخَرُ صامِتُ ؟
وهل فِيكَ مَنْ يَجْلو سَنَا الشَّمْسِ حُجَّةً ويَغْمِطُها مِنْهُ الجَحُودُ المُباهِتُ ؟

السَّحَر :

نشرت فى جريدة البرق البيروتية لأول مرة

يا نَسْمَةَ السَّحَرِ المُعْتَلَّةَ انْبَسَطَتْ — رُوحِي لها ، انبَعِثِي يا نَسْمَةَ السَّحَرِ
مُرِّي رَفِيقاً عَلَى الرُّوحِ الَّتِي عَشِقَتْ — ولاَطِفِي عَذَبَاتِ البَانِ والشَّجَرِ
نِعْمَ اللَّيَالِي الَّتِي رَقَّتْ أَوَاخِرُها — فَهْيَ اللَّيَالِي الَّتِي أَعْتَدُّ مِنْ عُمُرِي
وحَسْبُها أَنَّهـــا إِبَّانَ هَبَّتِها — هَبَّتْ مُطَهَّرَةً مِنْ جَلْبَةِ البَشَرِ
مَا أَحْسَنَ اللَّيْلَ يَمْضِي كُلُّهُ سَحَراً ! — فَرُبَّمَا عِيبَتِ الأَسْحَارُ بالقِصَرِ
أَرَحْتُ تَحْتَ دُجَاها كُلَّ جَارِحَةٍ — كَلَّتْ ، وأَعْمَلْتُ حِسَّ السَّمْعِ والبَصَرِ
إلى العُلا شَخَصَتْ عَيْنِي ارْتِيادَ هُدًى — إِلَيَّ مِنْ مَلَـكُوتِ اللهِ مُنْتَظَرِ
ولاحَ لِلنَّفْسِ أَنَّ النَّفْسَ جَوْهَرَةٌ — وأَنَّ عُنْصُرَها صَفْوٌ بلا كَدَرِ
وإِنَّنِي لَمُصِيبٌ فِي تَجَرُّدِها — بَعْضَ المُنَى ، أَوْ مُصِيبٌ جُمْلَةَ الوَطَرِ

العام الجديد:

اتفقت سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١م ، ونشرتها مجلة العرفان أول مرة

زِدْناكَ عامًا ووَقّتْناكَ توقيتا ... حاسِبْ بَنِيكَ وعامِلْهُمْ بما شِيتا
لمْ يَجْمَعُوا شَمْلَ أعْدادٍ مُفرّقةٍ ... إلّا أرادُوا بجَمْعِ الشّمْلِ تَشْتِيتا
هٰذي البُرُوجُ فسلِّطْ مِنْ مَواقِعِها ... عليهِمُ الأَسَدَ الغَضْبانَ والْحُوتا
لامُوكَ يادَهْرُ أنْ أقْبلْتَ تُنْذِرُهُمْ ... ألناسُ باللّوْمِ أَوْلَى منكَ ، حُوشِيتا
ذهَبتَ أمْسِ بِما نَدْرِي ، أتُخْبِرُنا ... لِنَسْتَرِيحَ ، بِماذا الآنَ قد جِيتا ؟
عَهِدْتُ أهْلَكَ لمْ يَبْطُلْ نَكيرُهُمُ ... على الطُّغاةِ فلِمْ صاروا طَواغِيتا ؟
كانوا ملائِكةً أنْوارُها انْبعَثَتْ ... مِنَ الضّمائِرِ فارْتَدُّوا عَفارِيتا
يادَهْرُ مِنْ لفْظِكَ الدّهْرِيُّ أحْسَبُه ... ومِنْ بِنائِكَ مُشْتقًّا ومَنْحوتا
قومٌ تَمادَوْا بشَكٍّ أنت باعِثُهُ ... وآخرون تلَقّوا عنكَ تَثْبِيتا
لا يَهْتَدي لِصَوابٍ في مَذاهِبِه ... مَنْ لَمْ تَجِدْ فِكْرَه حَيْرانَ مَبْهوتا
تَمَسّكُ الناسِ بالجُهّالِ قد نَسَكوا ... أخْلَى المَناسِكَ مِنّا والمَواقِيتا
مُلفّقٌ مِنْ مَخارِيقٍ كَلامُهُمُ ... ومِنْ مُحالٍ وإن سمَّوْه « لاهُوتا »
كَمْ أنْطَقَتْني ولَمْ أعْبأْ بما جَلَبَتْ ... مَشاهِدٌ تَذَرُ المِنْطِيقَ سِكِّيتا

ما أحقرَ النّاسَ مِنْ عَبْدٍ إلى مَلِكٍ　　مَنْ يَطْلُبِ المُلْكَ منهمْ يَطْلُبِ القُوتا؟
لا يَزْدَهِينِي مِن المَخْلوقِ نَعْتُهُمُ　　كَمْ شُوهِدَ الرَّجُلُ المَذْمومُ مَنْعوتا
إنِّي غداةَ أقاموني لِأُرْشِدَهُمْ　　أَضَلُّ ما كُنْتُ إذْ سُمِّيتُ خِرِّيتا
الحُبُّ والمَقْتُ مِنْ أهْواءِ أَنْفُسِنا　　إذ طالما نَجِدُ المحبوبَ مَمْقوتا
ما لِلسَّماءِ الّتي تَهْطالُها حُمَمٌ　　ألّا تَجودَ «فِلِزًّا» أو يَواقِيتا
تَجَلَّتَنا وأَخْلِقْ أنْ تُجَلِّلَنا　　قاراً تَضيقُ به الدُّنيا وكِبْرِيتا
يا لَيْتَ نِسْوَتَنا إنْ لَمْ تَكُنْ عَقِمَتْ　　عادَتْ مِن الآنَ أزْواجاً مَقالِيتا
أَغْمَدْنَ في الأرْضِ مِن أُنْثَى ومِنْ ذَكَرٍ　　ظُباً قد انْتُضِيَتْ بِيضاً مَصالِيتا

نحن تماثيل ، نحن مرائى :

بعينيك يا بدر السماء عنائى ... فأنت — وإن لم تدر — من ندمائى
إذا وصف الحذاق داء توفرت ... عليهم دواعيه فذلك دائى
خلال هوى مازلت أوثر كتمها ... وما زال نضاحا بهن إنائى
مراكب أخطار أمامى ركبتها ... ونكبت عن مغنى الأمان ورائى
سأحلم ما قدرت فى الحلم أنه ... يقصر عن شأوى خطى السفهاء
قليل من الأقطاب من لا تذمهم ... من المحدثى الأزمان والقدماء
تراهم — ليستغنوا ويخصب رحلهم — ... قد انتظموا فى زمرة الفقراء
أحبهم للحق أعلقهم يدا ... بمشرب أهل الحال والعرفاء
لقد سرنى أنى عن الناس ملتو ... ومنتبذ من دونهم بعراء
فأتعب شىء للفتى كثرة العدى ... وأتعب منها كثرة الخلطاء
وما نحن إلا أعبد غير أننا ... نتيه على السودان والوصفاء
على بعضنا تبدو حقائق بعضنا ... فنحن تماثيل ، ونحن مرائى

الأيّام :

اتفقت يوم ٣ محرم سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م .

تُعاجِلُنا الأيّامُ بالهَدْمِ إذْ نَبْنِي ... ولَمْ يَفِ ما أعْطَتْ بما أخَذَتْ مِنِّي

تَغَابَتْ ولَمْ تَخْشَ الزّمانَ كأنَّها ... حَديثةُ عَهْدٍ في تَجارِبِه سِنِّي

مِنَ النّاسِ خافِي أيُّها النَّفْسُ واحْذَرِي ... ولا تَأْمَنِي ، إنَّ المَخافَةَ في الأَمْنِ

الاجتماعيات

رجال الغد :

مما اتفق له سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م وذلك فى مدينة صيداء وهى من القصائد السائرة ؛ وقد نشرتها لأول مرة مجلة (العرفان) ثم صحف الشام فى التاريخ المذكور

أَنْتمُ — مُتَّمِّمُ بالسُّؤْدُدِ ... ياشَبابَ اليَوْمِ — أَشْياخُ الغَدِ
ياشَباباً دَرَسُوا فاجْتَهِدوا ... لِينالوا غايَةَ المُجْتَهِدِ
وَعَدَ اللهُ بِكُمْ أَوْطانَكُمْ ... ولَقَدْ آنَ نَجازُ المَوْعِدِ
أَنتُمُ جِيلٌ جَديدٌ خُلِقُوا ... لِعُصُورٍ مُقْبِلاتٍ جُدُدِ
كَوِّنوا الوَحْدَةَ لاتفْسَخُها ... نَزَعاتُ الرَّأْيِ والمُعْتَقَدِ
أنا بايَعْتُ عَلَى أنْ لا أرَى ... فُرْقَةً ، ها كُمْ عَلَى هٰذا يَدِى
عُقَدُ العالَمِ شَتَّى فاحْصُروا ... هَمَّكُمْ فى حَلِّ تلك العُقَدِ
لِتَكُنْ آمالُكُمْ واضِعَةً ... نُصْبَ عَيْنَيْها حَياةَ الأَبَدِ
لِتَعِشْ أَفْكارُكُمْ مُبْدِعَةً ... دَأْبُها إِيجادُ مالَمْ تَجِدِ

***

لا يَنالُ الضَّيْمُ مِنكُمْ جانِبًا ... غَيْرُ مَيْسورٍ مَنالُ الفَرْقَدِ
أو تُخَلُّون — وأنتُمْ سادَةٌ ... لِأَعادِيكُمْ — مَكانَ السَّيِّدِ

الوفا حِفظُكُمُ أو رَعْيُكُمْ — بعْدَ عهْدِ اللهِ — عهْدَ البَلَد
لا تَمُدُّوها يداً واهِيَةً لِيَدٍ مُفْرَغَةٍ فى الزَّرَدِ
تُشْبِهُ الأرْضُ الّتى تَحْمونَها عَبَثَ الأعْداءِ غَابَ الأَسَدِ
دبِّروا الأَرْواحَ فى أجْسادِها فاقَ داءُ الرُّوحِ داءَ الجَسَدِ
إنَّ عُقْبَى العِلْمِ مِنْ غَيْرِ هُدًى هٰذه العُقْبَى الّتى لَمْ تُحْمَدِ
مَنْ أتانا بالهُدى مِنْ حَيثُ لَمْ يَتأَدَّبْ حائرٌ لَمْ يَهْتَدِ
غَيْرُ مُجْدٍ - إنْ جَهِلْتُمْ قَدْرَكُمْ - عَدَدُ العِلْمِ وعِلْمُ العَدَدِ
وإذا لَمْ تَرْصُدُوا أحْوالَكُمْ لَمْ تُفِدْكُمْ دَرَجاتُ الرَّصَد
وإذا لَمْ تَسْتَقِمْ أخلاقُكُمْ ذَهَبَ العِلْمُ ذَهابَ الزَّبَدِ
عَدِّ عَنْكَ الرَّوْضَ لا أَرْتادُ لى غَيْرَ أَخلاقٍ هىَ الرَّوْضُ النَّدِى

* * *

بُورِكَتْ ناشِئَةٌ مَيْمُونَةٌ نَشَأَتْ فى ظِلِّ هٰذا المَعْهَدِ
مَنْ جَنَى مِنْ عِلْمِهِ فائِدَةً غَيْرُ مَنْ عاشَ فَلَمْ يَسْتَفِدِ
ما يُرَجِّى - لَيْتَ شِعْرِى - والِدٌ أَهْمَلَ التعليمَ عِنْدَ الوَلَدِ
سِيرَةُ الآباءِ فِينا قُدْوَةٌ كلُّ طِفْلٍ بأَبِيهِ يَقْتَدى

* * *

ليس هٰذا الشِّعْر ما تَرْوُونَه إنَّ هٰذِى قِطَعٌ مِنْ كَبِدِى

خواطرُ اليوم أقوالُ غدٍ وأعمالُ ما بعد:

من أوائل شعره قبل الحرب العامة ؛ وقد نشرتها لأول مرة مجلة (العرفان) الصّيْداويّة

خَواطِري الْيَومَ أَقْوالِي، ومُعْتَقَدِي غدًا ، وغُرَّةُ أَعْمالِي وراءَ غَدِ
مالِي أُنافِحُ عَنْ رَأْيٍ أَفُوهُ بِهِ فما فَتَحْتُ فَمِي إلاَّ رَفَعْتُ يَدِي
يا قاضِيًا بِاُضْطِهادِي هَبْكَ تَفْعَلُهُ فالْحَقُّ قَيْدَ لِسانِي غَيْرُ مُضْطَهَدِ
يا قُوَّةَ الْحَقِّ حَسْبِي مِنْكِ أُهْبَتُهُ فَلَسْتُ ذا الْعُدَّةِ الشَّهْباءِ والعَدَدِ
حُبُّ الحَقيقَةِ يُصْبِينِي وإِنْ كَبُرَتْ وزَجَّ بِي حُبُّها فِي ماضِغَيْ أَسَدِ
لا قُلتُ لِلْعَيْنِ : نَحْوَ الْباطِلِ الْتَفِتِي أَنَّى يَكُونُ جَلاءُ العَيْنِ بالرَّمَدِ ؟
قالوا: أَتَكْرَهُ نَقْدَ النَّاسِ؟ قلتُ: نعَمْ إذَا اسْتَعارَ عَدُوِّي ثَوْبَ مُنْتَقِدِ
قالوا : فَقَدْ خَلَّدُوها عَنْكَ سَيِّئَةً فقُلْتُ: ما دارَ سُوءُ الْقَصْدِ فِي خَلَدِي
قالوا : أَتَصْبِرُ أَمْ تَأْسَى ؟ فقُلْتُ لهُمْ : بِمِثْلِ ذاكَ اُمْتِحانُ الصَّبْرِ والجَلَدِ
قالوا: فَناظِرْ وصَوْتُ الْحَقِّ مُرْتَفِعٌ فقُلْتُ : هذا قِياسٌ غَيْرُ مُطَّرِدِ
مُقَلِّدُونَ بِما فاهُوا وما كَتَمُوا عَرَفْتُ داءَهُمُ عِرْفانَ مُجْتَهِدِ
ولَوْ وَجَدْتُ نَصِيرًا ما احْتَفَلْتُ بِهِمْ لٰكِنْ خَبَرْتُ أَحِبّائِي فَلَمْ أَجِدِ

أَحِبَّتى اُسْتَهْدَفُوا قَلْبى وهُمْ غَرَبِى ... عَلَى العَدُوِّ ، وأَصْمَوْنِى وهُمْ عَضُدِى
ظَمْآنُ أَسْتَعْذِبُ الضَّحْضاحَ مَشْرَعَةً ... وعَزَّ أَنْ يَضْمَنَ الضَّحْضاحُ رِىَّ صَدِى
لٰكِنْ وَرَدْتُ عَلَى كُرْهٍ مُرَنَّقَةً ... فليتنى قَبْلُ لَمْ أَصْدُرْ ولمْ أَرِدِ
وعاذِلٍ لا يملُّ الهجْرَ قُلْتُ لَهُ ... أَسْرَفْتَ فى لَوْمِ مَنْ لَمْ يُصْغِ فاقتَصِدِ
لَوْ كانَ باللَّوْمِ رَدْعُ القَلْبِ لَانْزَجَرَتْ ... قُلوبُ أَهْلِ الْهَوَى باللَّوْمِ والْفَنَدِ
وإِنَّما نَحْنُ والأَعْقابُ سِلْسِلَةٌ ... مَحْبُوكَةُ الزَّرَدِ المَوْصُولِ بالزَّرَدِ
كأَنَّ سِرَّ الحَياةِ المُسْتَكِنَّ بنا ... وَدِيعَةٌ مِنْ صَفايا الواحِدِ الأَحَدِ
فَمِنْ جُدُودِى ، لِآبائِى الْأُلَى ، لِأَبِى ... إِلَىَّ ذاهِبَةٌ مِنِّى إِلى وَلَدِى
يا راكِبِينَ يَشُلُّ المَوْتُ مَرْحَهُمُ ... لَعَلَّ رَكْبَكُمُ اُسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ
مَضَتْ قُرُونٌ ودالَتْ قَبْلَها دُوَلٌ ... « أَخْنَى عَلَيْها الَّذِى أَخْنَى عَلَى لُبَدِ »

* * *

وفُرْقَةٍ بِصَمِيمِ الإِجْتِماعِ بَدَتْ ... قَضَتْ عَلَى شَمْلِهِ المَجْموعِ بالبَدَدِ
فَلَيْسَ تَجْنَحُ آحادٌ لِمُجْتَمَعٍ ... ولا تَرِقُّ جَماعاتٌ عَلَى أَحَدِ
ما أَكْثَرَ الجامِعاتِ السُّودِ قائِمَةً ... عَلَى مُنابَذَةِ الأَضْغانِ والحَسَدِ
تَقَلَّبَ النّاسُ بَعْضٌ فى بُلَهْنِيَةٍ ... وأَكْثَرُ الناسِ مَرْزُوءُونَ بالنَّكَدِ
ونائِمِينَ عَلَى الدِّفْعاءِ تَحْسَبُهُمْ ... آثامَ غالِينَ بالتَّرْفِيهِ والرَّغَدِ

لوْ تعلمُ الأنجُمُ استجْدَتْ دُمُوعَهُمُ ... ما بيْنَ مُنْحدِرٍ مِنْها ومُنْجمِدِ
هوَوْا إلى العِيشةِ النَّكْداءِ فى صَبَبٍ ... واستُقبِلوا بعَذابِ الفاقةِ الصَّمَدِ

* * *

ولَيْـلَةٍ أَظْلَمتْ وَجْهًا ومِنْ أَمَلِى ... عَبَرْتُ غَيْهَبَهَا فى مَنْهَجٍ جَـــدَدِ
كأنَّ شُهْبَ الدَّياجِى ثَلَّةٌ رُصِدَتْ ... فَعاجَلَتْها ذِئابُ اللَّيـلِ بالطَّرَدِ
غابَتْ كَواكِبُها إلاَّ ثَمانِيَـــةٌ ... كأنَّما هىَ حَبَّاتٌ مِنَ البَرَدِ
ثمَّ انحدَرْنَ ارْتِيادَ الغَرْبِ فانفرَدَتْ ... بَيْضاءُ ترْقُبُ منِّى شَخْصَ مُنْفرِدِ
يا نَجْمَةَ الصُّبْحِ ما أَحْلاكِ مُشْرِقَةً ... لأَنتِ قُرَّةُ عَيْنِ العِلْمِ والرَّصَدِ
هَوَّنْتِ وَجْدِى ولو أَشْرَقْتِ ثانِيَةً ... فى الأُفْقِ شَتَّتِّ شَمْلَ الوَجْدِ والكَمَدِ

إلمامة الشعر :

اتفقت بعد انقطاعه عن الشعر مدّةً كان الناسُ خلالَها يطالبونه به من شتى الجهات

عاوَدكَ الشِّعْرُ مُلِمًّا وما   عاوَدَ بَعْدَ القَطْعِ مُشْتاقَا
عاوَدَكَ الداءِ دَوِيًّا فَبِتْ   يا قَلْبُ مِنْ دائِكَ خَفّاقَا
طاوَعَنى الفَنُّ كما كان لى   إذ كُنْتُ لِلأشْعارِ خَلّاقا
ماعادَ أحْلاماً كعَهْدِى به   بل عادَ تَفْكِيرا وأَخْلاقا
وارْتَدَّ وَعْظاً مِنْ أناشِيدِهِ   ما كان تَبْرِيحاً وأَشْواقا
لا غَرْوَ إنْ لَمْ يَنْسَجِمْ رائِقاً   لَوْ كان مِنْ نَسْجِ الصِّبا راقا
صِنْوانِ : شِعْرٌ وهَوًى جامِحٌ   فَلَنْ نَعُودَ اليومَ عُشّاقا
خُضْناكَ ياماءِ وقَدْ آنَ أَنْ   نَسْبُرَ فى الغَمْرةِ أَعْماقا
واتَّزَنَ الرَّأْىُ فلا ذاهِبٌ   بالرَّأْىِ إصْعاداً ، وإغْراقا
قدْ يَلْتوِى المَعْنى بِمَفْهُومِه   إن لَمْ يَجِدْ مَعْناكَ مِصْداقا

* * *

يا طائِراً أَوْحَش أَوْكارَه   آنَسْتَ أَجْواءِ وآفاقا
هَبْ أنّك اسْتَوْثَقْتَ مِنْ صاحِبٍ   فهــل يُراعِى الدَّهْرُ ميثاقا ؟

يا سِلْعَةً بارَتْ على أنّهـا أَنْفَسُ ما نَخْتارُ أَعْـلاقا
ما جَلَبَ الناسُ سِوَى ما اشْتَهَوْا إنِّى رَأَيْتُ النّاسَ أَسْواقا
لَيْتَ الّذى خَوَّلَهُـمْ ثَرْوَةً أَعْطَى عَبيدَ المالِ أَذْواقا

***

جارَ عَنِ القَصْدِ لِداتِى وقَدْ أَغْرَقْتُ فى مَسْرايَ إغْراقا
أَصْـدَقُنا حُبًّا لأَوْطانِنا أَطْيَبُ مِنْ أَنْبَتْنَ أَعْراقا

تَنازُع البقاء :

اتفقت فى ربيع الثانى سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م وقد نشرتها الصحف العراقية

هو الدَّهرُ قَتّالٌ لِما لَيْسَ يَصْلُحُ ... فكونوا كما قَدْ يَشْتَهى الدَّهْرُ تُفْلِحوا
وما أَبقَت الأَيّامُ يَبْقَى وما قَضَتْ ... على مِثْلِه الأَيّامُ بالطَّرْحِ يُطْرَحُ
تَجِدُّ أُمُورٌ كلٌّ مُمْسَى ومُصْبَحٍ ... ونَحْنُ كما نُمْسِى على الأَمْرِ نُصْبِحُ
وتُفْتَحُ أَبْوابُ الهُدَى فنَسُدُّها ... وتَنْسَدُّ أَبْوابُ الضَّلالِ فنَفْتَحُ
وتَظْهَرُ دَعْوى المُفْسِدِين إلى الهوى ... إذا قام يَدْعُونا إلى اللهِ مُصْلِحُ
وقد تَحْزَن الأَقْوامُ مِمّا يَسوءها ... ولٰكِنّنا فى مِثْلِ ذٰلك نَفْرَحُ
ونَحْنُ إذا قامَ المُناجِزُ لم نَقُمْ ... ونَحْنُ إذا جَدَّ المُخاصِمُ نَمْزَحُ
ولِلْفَوْزِ فى هٰذا الجِهادِ الَّذى أَرَى ... سِلاحٌ أَرانا مِنْهُ لا نَتَسَلَّحُ
سَيَجْنَحُ بالدُّنيا إلى السِّلْمِ كَوْنُنا ... إلى الحَرْبِ فيها ـ لا إلى السِّلْمِ ـ نَجْنَحُ
وسَوْفَ نَراها كَيْفَ تَصْرِفُ وَجْهَها ... وتَصْفَحُ عَنّا حِينَ نَعْفُو ونَصْفَحُ
حَدَتْ كلَّ مَنْ تَلْقَى مِنَ النّاسِ غايةٌ ... وَقادَهُمُ قَوْدَ الأَذِلّاءِ مَطْمَحُ
فما اقْتَحَموا الأَخْطارَ إلّا لِيأْمَنوا ... ولا احْتَمَلوا الأَضْرارَ إلّا ليرْبَحوا
رَمَتْ أُمَمٌ عنها الجُمودَ فأَفْلَحَتْ ... على حِينِ أَنّا تَحْتَه الآنَ نَرْزَحُ

مَحا اللهُ أَجْيالاً وكَوَّنَ غَيْرَها ولَوْ شاءَ ما كانوا، ولَوْ شاءَ ما مُحُوا
أَصَحُّ عِبــادِ اللهِ دِيناً ونِحْلَةً مُجاهِدُ نَفْسٍ، لا المُصَلى المُسَبِّحُ
وأَكبرُ عارٍ فى الأكابرِ صمْتُهُمْ إذا لم يُبينوا الرَّأْىَ، أَوْ لَمْ يُصَرِّحوا
سِراعٌ إلى الطَّعْنِ الصَّريحِ بغَيْرِهِمْ وإلاَّ يكنْ هٰذا أَشارُوا ولَوَّحوا
يقولون أَقْوالاً ولا يَفْهَمونها فإِنْ قيل: هاتوا صَحِّحوا، لَمْ يُصَحِّحوا

الإقليميّة أو الجنسيّة المصطنَعة :

اتفقت سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م وقد نشرت فى العدد ١٨٣ من السنة الرابعة لجريدة البرق البيروتية .

وأَرَى مِن الإِنْسانِ أَعْجبَ ما أَرَى   جِنْسِيَّةً مَنَعَتْــــهُ أن يَتَواسَى
لِمَ لا تَشَبَّهَ بالحُقولِ يَزِيدُها   لُطْفاً تَجَمُّعُ وَرْدِها أَجْناســـا
ياليْتَ مَن جَعَلَ التَّبايُنَ زِينَــةً   لِلْوَرْدِ قَدَّرَها تَزِينُ النّاسا

الشباب الطائش :

نَشرتها مجلة (الاعتدال) العراقيّة

شَـــبابٌ طائِشٌ نَزِقٌ   وشِيبٌ ما بِهِمْ رَمَقُ
وشَـــعْبٌ طالبٌ ثِقَةً   فدُلُّوه ، بِمَنْ يَثِقُ ؟
ففى آرائِنا شِـــيَعٌ   وفى أَحْزابِنا فِرَقُ
قَد أسْتَشْرَى خِلافُكُمُ   ألا يا قَـــوْمُ فاتَّفِقُوا
فـــا هانوا مَن أجتَمَعوا   وما سادُوا مَن أفتَرَقوا
إذا خُلِقَ الوَرَى هَمَجًا   فإنَّ القَوْمَ ما خُلِقُوا

الشعر خيال :

من أوائل شعره وقد نشرتها مجلة (العرفان) لأول مرة

أَشْرَقَ النَّيِّرُ يعلوهُ الجلالُ فتخيَّلْتُكِ ، والشِّعْرُ خيال
إنما ذكَّرَنيها — لو درتْ — مِنْ مزايا البدرِ نأيٌ وكمالُ
كلُّ شيءٍ أيُّها البدرُ له بتجلِّيكَ احتفاءٌ ، واحتفالُ
ألروحِ لم تزلْ تبعثُها كلُّ هذا ؟ عزَّ ما شاءَ الجمالُ
كمْ يدٍ مُبيَضَّةٍ نحفظُها لكَ نحنُ ولياليِنا الطوالُ
أيُّها النّاعِمُ بالاً في الهوى أتراني ناعماً لي بكَ بالُ ؟
أخطأَ العَدَّ حنيني لكُمُ إنّها لا تقبلُ العدَّ الرِّمالُ
لا أساغَ اللهُ لي إن لمْ يكنْ رنِقًا بعدَكُمُ الماءُ الزُّلالُ
عاطِشٌ ما غرَّني ـ لولا كُمُ ـ خُلَّبٌ لاحَ ولا أطمعَ آلُ
كَمْ أُداريكُمْ وأستَخذي لكُمْ ضَعُفَ الصَّبْرُ وقلَّ الإحتمالُ
قد بلوْتُمْ وخبرْتُمْ شيَمي فانظُروا، نمَّ على السَّيفِ الصِّقالُ
إنْ يكُنْ هجرُكُمُ عن عِلَّةٍ ألجأتْكُمْ فهوَ قصدِي لا الوصالُ
ما لِمَنْ لامَ بكُمْ معذِرَةٌ إنّ هذي عثراتٌ لا تُقالُ

أنا أُطْفَأْتُكِ فيما اُخْتَرْتِ لى — أنا يا نَفْسُ — كما يُطْفَا الذُّبالُ
ليس يَنْجــو حاسِرٌ مُقْتَحِمٌ ساحةَ الحَرْبِ وقد ضاقَ المَجالُ

* * *

أَيُّها المُشْرِقُ مُلْكاً إنَّهــا دُوَلٌ تأْتى ودَوْلاتٌ تُدالُ
جُلُّ ما فى الكَوْنِ بُؤْسٌ دائِمٌ ليس يُقْضَى وشَقاءٌ لا يَزالُ
ما يُرِيدُ المَرْءُ من ثَرْوَتِه ؟ إنَّ عُقْباهُ وعُقْباها الزَّوالُ
مَعْدِنٌ مُجْتَمِــعٌ أَرْكانُهُ شُبُهاتٌ ، وحَرامٌ ، وحَلالُ
أَفَقِيرٌ غــيرُ ذِى مالٍ فَتًى عَزَّ نَفْساً ؟ إنَّ عِزَّ النَّفْسِ مالُ
أَخُلوداً بالغِــنَى ما رُمْتُمُ ؟ شَرُّ ما رامَ امْرُؤٌ ما لا يُنالُ
أنتَ يا مَنْ أَبْطَأَتْ يَقْظَتُهُ قَدْ حَدَتْ ظُعْنَكَ ساعاتٌ عِجالُ
تَطْلُبُ الرِّفْقَ وما أَضْيَعَه إنَّ وِجْــدانَكَ إيَّاه مُحالُ
لا يَجِدْكَ المَوْتُ إلاّ باسِمًا هٰكذا يَهْزَأُ بالمَوْتِ الرِّجالُ
واطَّرِحْ هَمَّ حَيــاةٍ كُلُّها تَبِعاتٌ وتَكاليفُ ثِقالُ
لا نَرَى آمالَنا مُغْنِيَــةً ومتى تَسْمَنُ آمالٌ هِزالُ ؟

الفوز فى الحياة :

مما اتفق له فى بغداد سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م وقد نشرتها مجلة (الاعتدال) العراقية

قَلْبٌ يَحُزُّ به الأَلَمْ   عَبَسَ الزّمانُ أو ٱبتَسَمْ
ما أَسْـــأَرَتْ لَذَّاتُه   إلّا المَلالَةَ والسَّـــأَمْ
أَلِفَ الضَّنَى ، فإِذا دَنا   مِنْ صِحَّةٍ ، ذَكَرَ السَّقَمْ
مُتَضَرِّمٌ بصَـــمِيمِه   وَيْحَ الفُؤادِ إذا ٱضطَرَمْ
صَهَرَتْه أَيْدِى الحادِثا   تِ فراحَ يَقْذِفُ بالحُمَمْ
أَزْمَنْتَ يا دائى وكَمْ   قَرْحٍ تَعَمَّقَ فالتَـــأَمْ
وأَمَضُّ مِنْ داءٍ ترا   هُ العَيْنُ داءٌ مُكْتَتَمْ
يا أُمَّـــةً مِنْ جَهْلِها   تَأْبَى مُجـــاراةَ الأُمَمْ
تَأْبَى الرُّجولَةَ ، والبُطُو   لَةَ ، والكَرامةَ ، والكَرَمْ
ذَلَّتْ حَـــديثاً أُمَّةٌ   أبدا تُفاخِرُ بالقِـــدَمْ
وأَحالَ منها رِمَّـــةً   طُولُ التَّباهِى بالرِّمَمْ
هَـدَمَ الزّمانُ فَجَدِّدوا   مارَثَّ ، وٱبْنُوا ما هَدَمْ

والفَوْزُ فى الدُّنيا لِمَنْ نَبَـذَ المَخاوفَ واُقْتَحَمْ
ولِمَنْ يَشُقُّ طَريقَهُ مَلْحُوبَةً فى المُزْدَحَمْ
ولِمنْ شَـــأَى بثَباتِه ورُسُوخِهِ الطَّوْدَ الأَشَمّ
ولِمُدْرِكٍ ما اُسْتُودِعَتْ شَتَّى العَوالِمِ مِنْ حِكَمْ
لا لِلَّذى لَمْ يَجْتَلِبْ إِلّا سُـقوطاً فى الهِمَمْ
أَقْسِمْ إذا كُنْتَ القَـوِىَّ* الجَلْدَ ، واُحْنَثْ فى القَسَمْ !
فَلأَنْتَ أَصْدَقُ مَنْ مَشَى فى الخافِقَيْنِ على قَدَمْ
وَيْلُ الضَّعيفِ ، نِداؤُهُ فى مَسْمَعِ الدُّنيا صَمَمْ
خانَ الذِّمامَ عُداتُنا يا عُرْبُ يا أَهْلَ الذِّمَمْ
وفَقَـــدْتُمُ مَعْنَى السِّيا * دَةِ والـكِيانِ المُحْتَرَمْ
وأَراكُمُ لَمْ تَنْـــدَموا وأَراهُ لا يُجْدِى النَّدَمْ
عِظَتِى لَكُمْ أن تَحْذِقوا غَـيرَ المَواعِظِ والحِكَمْ
ونَصِيحَتِى أن تَدْعَموا بالسَّيْفِ ما أَوْحَى القَلَمْ
ظَلَمَ الشُّـعوبَ طُغاتُها فَنَجَتْ بِنا مِمَّنْ ظَلَمْ
شَهِدَ الـكَواشِحُ أَنَّنا فى الناسِ أَعْدَلُ مَنْ حَكَمْ

الاجتماع والشعراء :

نشرتها مجلة العرفان سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ، وهى من أوائل شعره

إذا اُستَجْلَيْتَ بارِقَةَ اُجتماعٍ … أضاءَ بنُورِها مَجْرَى اليَراعِ
بَدَت فتَكَلَّلَتْ شَرَفَ اُكتِشافٍ … بها الأفكارُ ، أو شَرَفَ اُختراعِ
كأنَّ العِلْمَ حاصِرُ كَهْرَباءٍ … وكَمْ وَصَلوا به سِلْكَ اُطِّلاعِ
لئن كَلَّفْتَ نُطْقَكَ قَوْلَ صِدْقٍ … فما كَلَّفتَ فَوْقَ المُسْتَطاعِ
فلَوْلا أنَّ بَعْضَ الشِّعْرِ سِحْرٌ … لَكانَ الشِّعْرُ مِنْ سَقَطِ المَتاعِ
وليس أفَلَّ حَدًّا مِنْ أديبٍ … تَخَيَّلَ شِعْرَه شَرَكَ اُنتِجاعِ
يُجاذِبُه إليه صَدَى مُهَنٍّ … ويَسْتَوْلِى عليه صَوْتُ ناعِى
يُصانِعُ باللِّسانِ لنَيْلِ رِزْقٍ … يُجانِبُ فيه فَنَّ يَدِ صَناعِ
ونَهْجُ الجِدِّ لِلأَرْزاقِ أَوْلَى … بأَهْلِ المَجْدِ مِنْ نَهْجِ اُلخِداعِ
وما مَنْ شَأْنُه ذُلُّ التَّوانِى … كآخَرَ زانَه عِزُّ اُلمَساعِى
بمُعْتَرَكِ الحَياةِ يَجولُ سَعْيًا … فيُولِيها قِراعًا فى قِراعِ
تَحايَا عاشِقُ الكَسَلِ اُفتِتانًا … وماتَ أَذَلَّ مِنْ فَقْعٍ بِقاعِ
فسَمْعًا أيُّها الشُّعَراءُ سَمْعًا … وقَوْلُ الحَقِّ أَجْدَرُ بالسَّماعِ

مَلِلْنا القَوْلَ فِي فَرَحِ التَّلاقِي ... بِمَنْ نَهْواهُ ، أو تَرَحِ الوَداعِ
أما لِهَوَى أَحِبَّتِنــــا عُقولٌ ... تــكافِحُ مِنْه شَرَّ هَوًى مُطاعِ ؟
أَرَى أَوْقاتَنا ذَهَبَتْ ضَـــياعًا ... وما هِيَ غَيْرُ مَفْخَرِنا المُضاعِ
ومن يَرْتَدْ بَطالَتَه سَـيَرْعَى ... فَلا جَرْداءَ قاحِــلَةَ المَراعِى
فيا شُـــعَراءَنا انْتَقَلَتْ إليكُمْ ... مُراقَبَـــةُ العَوائِدِ والطِّباعِ
مُراقَبَـةٌ هِدايَةُ غَـــيرِ هادٍ ... تَقومُ بها ويَقْظَةُ غيرِ واعِي
بِكُمْ كُشِفَ اللِّثامُ عَن المَعانِي ... لِمَسْدُولِ اللِّثامِ ، أَو القِناعِ
ويُوشِكُ لَوْ غَفَلْتُمْ أن يُنادِي ... جَميلُ الخُلْقِ حَيَّ عَلى الزِّماعِ
رَعَى اللهُ القَرِيضَ وناظِمِيــهِ ... وحَقَّ لَهُمْ رِعايَةُ كُلِّ راعِ
فإِنَّ لَهُمْ لَأَلْسِنَةً حِـــدادًا ... أَحَقَّ مِن الصَّوارِمِ بالدِّفاعِ
وإِنَّ لَهُمْ لَأَفْئِدَةً شِـــدادًا ... تَسُدُّ مَسَـــدَّ سابِغَةِ الدِّراعِ
وإِنَّ لَهُمْ على الشَّعْبِ اطِّلاعًا ... كما اطَّلَعَ المُطِلُّ من اليَفاعِ
وإِنَّ لَهُمْ لَأَنْفاسًا حِرارًا ... وأَنْفاسُ النُّفوسِ إلى انْقِطاعِ

نحن فى واد :

مما اتفق له فى بغداد سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م . ويشير فيها إلى توالى الأزمات السياسيّة

صُدُورٌ مِن الآلامِ واجِفَةٌ تَغْـلِي على أَنّنا مِنْ حاضِرِ اللَّهْوِ فى شُغْلِ
متى نَتَحَرَّى الجِدَّ فيما نَقُولُه وما نَتَمَنّاه ونَحْنُ إلى الهَزْلِ ؟
أَتَرْتَفِعُ الأَقْوامُ عنَّا مَكانةً ونَحْنُ نُدِيرُ الطَّرْفَ فى عالَمٍ سُفْلِي ؟
ولِلنّاسِ غاياتٌ كِبارٌ تَرومُها ولَيسَ لنا منها سوى الشُّرْبِ والأَكْلِ
عَلى العَدْلِ فَلْتَبْنِ الممالكُ إن بَنَتْ وإلاّ فما مَعْنَى البِناءِ على الرَّمْلِ ؟
وفى الشَّكْلِ عِنْدَ الغافِلِين تَعِلَّةٌ وشَتّانَ ما بَيْنَ الحَقيقَةِ والشَّكْلِ
لَنا كلَّ آنٍ عاذِلٌ أو مقرِّعٌ يَصُمُّ بِأَسْماعٍ نَوابٍ عَنِ العَذْلِ

الصبر :

ولَقَدْ صَبَرْتُ على الرَّزايا جَمَّةً · وظَنَنْتُ أَنْ أُوتِيتُ أَجْرَ الصابِرِ
وظَهَرْتُ فى جَلَدٍ ولَسْتُ إخالُه · إلّا عَزاءَ سُوَيْعَةٍ فى الظّاهِرِ
وعَرَكْتُ جَنْبَ الخَطْبِ إلَّا أَنَّه · خَطْبٌ يَتِيهُ عَلَيَّ تِيهَ الظّافِرِ
يا خَطْبُ لا تَنْفَكُّ أنتَ مُراوِحِي · ومُعاوِدِي، ومُصَبِّحِي، ومُباكِرِي
وأَخٍ يُقِرُّ اليَوْمَ طَوْدَ وِدادِه · ويُسِيخُ ثابِتَ وُدِّه مِنْ باكِرِ
إنِّى أَخَذْتُ عَنِ الزَّمانِ بَصِيرَةً · لا يَنْطَلِي مَعَهــا إخاءُ الغادِرِ

سرابُ الآمال :

من أوائل شعره ، وقد نشرتها مجلة «العرفان» سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩م

دَعَوْتُكَ أن تَهُبَّ إلى المَعالى ودَعْواىَ الخَيالَ مِن الخَيالِ
جَذَبْتُ إليكَ قَلْبِي بالأَماني مُمَثَّلَةً وأنتَ بلا مِثالِ
أراني مِنْكَ في خَطَرٍ مُبينٍ فلَيْتَكَ لا خَطَرْتَ ولا ببالى
فزادٌ لَوْ عَرَفْتُكَ غيرَ سُمٍّ وريٌّ لَوْ رَأَيْتُكَ غيرَ آلِ
رَثَيْتُ بكَ الرُّقِيَّ ولوْ رَآني وما أَعْدَدْتَ عندَكَ لى رَثَى لى
تَعَشَّقَكَ الأُلَى حَسِبوكَ فيهمْ جَمالَ الوَهْمِ ، يا وَهْمَ الجَمالِ
وهَبْني قَدْ هَوِيتُ فإنَّ عَقْلى مَلا لِى فيكَ أَكْوابَ المَلالِ
إذا كانَ الهُدَى بكَ قَصْدَ مِثْلِى فلا مُثِّلْتُ إلَّا لِلضَّلالِ
أَوَعْدًا والمَواعِدُ كاذِباتٌ كأنَّكَ قد خُلِقْتَ مِنَ المِطالِ ؟
سَأَلْتُكَ لا تُجيبُ فما لِقَوْمِى أُسائِلُهُمْ وما فَقِهوا سُؤالى ؟
أَخَسْفًا يا بُدُورَ الشَّرْقِ يا مَنْ يَرِفُّ عليهمُ عَلَمُ الهِلالِ ؟
سَكَنْتُمْ نائِمِينَ عَلَى مِهادٍ له حَرَكاتُ وَضْعٍ وانْتِقالِ
أَخِفْتُمْ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ فَقُلْتُمْ رَكَدْنا فَوْقَها مِثْلَ الجِبالِ ؟

تَحَمَّلْتَ الأَمانَةَ وهىَ ثِقْلٌ ... رَآهُ سِواكَ صَعْبَ الإِحْتمالِ
خُلِقْتَ لكلِّ نقصٍ مُسْتَعِدًّا ... بطَبْعِكَ أو لِكُلِّىِّ الكَمالِ
وتِلْكَ طَبيعةٌ لَمْ تُخْطِ جِنْسًا ... سَواءٌ فى النِّساءِ أو الرِّجالِ
وأَرْبابُ الحِجا لَهُمُ حُقُوقٌ ... بِنِسْبَتِهِمْ كرَبّاتِ الحِجالِ
بتَدْبيرِ المَنازِلِ هُنَّ أَوْلَى ... وهُمْ أَوْلَى بتَدْبيرِ النِّزالِ
ولو كُلِّفْنَ جَلْبَ الرِّزْقِ كانَتْ ... وَظيفَتُهُنَّ طَوْعَ الإِخْتِلالِ
ومَنْ للنَّسْلِ تَرْبِيَةً وحِفْظًا ... إذا ساوَيْنَنا فى كلِّ حالِ
فيا بِنْتَ الكَمالِ نَعِمْتِ بالًا ... ولَسْتُ أَقولُ يا بِنْتَ الدَّلالِ
صَنِيعُكِ لِليَمينِ تَقومُ فيه ... مُفاخِرَةً ، ومَهْدُكِ للشِّمالِ

الاخلاقیاتِ والٰہیات

باطلُ الحمدِ ومكذوبُ الثّنا :

فِتْنَةُ النَّاسِ — وُقِينا الفِتَنَا — باطِلُ الحَمْدِ ، ومَكْذوبُ الثَّنَا
رُبَّ جَهْمٍ حَوَّلاهُ قَمَرًا وقَبيحٍ صَيَّراهُ حَسَنا
أيُّها المُصْلِحُ مِنْ أخْلاقِنا أيُّها المُصْلِحُ ، ألداءُ هُنا
كُلُّنا يَطْلُبُ ما ليس له كُلُّنا يَطْلُبُ ذا حتَّى أنا
رُبَّما تُعْجِبُنا مُخْضَرَّةٌ أرْبُعٌ بالأمْسِ كانَتْ دِمَنا
لَم تزَلْ — وَيْحَكَ ياعَصْرُ أفِقْ — عَصْرَ ألْقابٍ كِبارٍ وكُنَى
حَكَمَ النَّاسُ عَلَى النَّاسِ بما سَمِعُوا عَنْهُمْ وغَضّوا الأعْيُنا
فاسْتَحالت — وأنا مِنْ بَعْضِهِمْ — اذْنِي عَيْنًا وعَيْنِي اذُنا
إنّنا نَجْنِي عَلى أنْفُسِنا حِينَ نَجْنِي ، ثم نَدْعو : مَنْ جَنَى ؟
بَلَغَ النَّاسُ الأمانِي حَقَّةً وبَلَغْناها ولٰكِنْ بالمُنَى
أخْطَأَ الحَقَّ فَرِيقٌ بائِسٌ لَمْ يَلُومونا ولامُوا الزَّمَنا
خَسِرَتْ صَفْقَتُكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ شَرَوُا العارَ وباعُوا الوَطَنا
أرْخَصُوه ولَوْ اعتاضُوا به هٰذه الدُّنيا لَقَلَّتْ ثَمَنا
يا عَبيدَ المالِ خَيرٌ مِنْكُمُ جُهَلاءُ يَعْبُدون الوَثَنا

إنّى ذاكَ العِــراقُ الّذى   ذَكَرَ (الشامَ) وناجَى (اليَمَنا)
إنّى أعْتَــدُّ (نَجْدًا) رَوْضَتِي   وأرَى جَنَّةَ عَــدْنِى (عدَنا)

***

أيُّها الجيلُ اُكتَشِفْ لى حاضِرًا   كلّما خَرّبَ ماضِــيكَ بَنى
يَنْهَضُ الشَّعْبُ فيَمْشِي قدُمًا   لَوْ مَشَى الدَّهْرُ إليــه ما انْثَنَى
غيرُ راقِى النَّفْسِ والرُّوحِ فَتًى   وَضَعَ الرُّوحَ ورَقَّى البَــدَنا
حالَةُ النَّفْسِ الّتى تُسْــعِدُها   وتُرِيها كلَّ صَعْبٍ هَيِّنــا
فَفَقيرٌ مَنْ غِنــاهُ طَمَعٌ   وغَنِيٌّ مَنْ يَرَى الفَقْرَ غِنَى

رُوحُ الرسول:

مستوحاةٌ من ذِكرَى الرسول الأمين سنة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥ م

ألا ليْتَ شِعْرِى ما ترَى رُوحُ (أحْمَدٍ) … إذَا طالعَتْنا مِنْ علٍ ، أوْ أطلّتِ ؟

وأكبَرُ ظَنِّى لوْ أتانَا (مُحَمَّــــدٌ) … للاَقَى الّذى لاقاهُ مِنْ أهْلِ مكّةِ

عَدَلْنا عَن النُّورِ الّذِى جاءَنا بِهِ … كما عَدلَتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ فضَلّتِ

إذَنْ لقَضَى : لامَنْهَجُ النّاسِ مَنْهجِى … ولا مِلّةَ القَوْمِ الأَواخِرِ مِلّتِى

دَعَوْتُ إلى التَّوْحيدِ بجَمْعِ شَمْلِكُمْ … ولَمْ أدْعُ للشّمْلِ البَديدِ المُشَتّتِ

وجِئْتُ رَسُولاً لِلْحياةِ ، ولاَ أرَى … بكُمْ غيْرَ حَيٍّ فِى مَدارِجِ مَيِّتِ

ويَسَّرْتُ شَرْعًا — ما تَعنَّتَ — يافِعًا … وسُرْعانَ ما مِلْتُمْ بهِ لِلتّعَنُّتِ

وحَرَّمْتُ فِى الإسْلامِ مِنْ بَعْدِ حِلِّها … مَساوِئَ عادَتْ بَعْدَ حِينٍ فحَلّتِ

وأَوْصَيْتُ بَعْدَ الحَقِّ بالصَّبْرِ أُمَّةً … عَلَى مُبْطِلِيها حُجَّةُ اللهِ حَقّتِ

ومَكّنْتُ مِنْ سُلْطانِ (كِسْرَى) و (قَيصَرٍ) … أُناسًا أَرَى أبْناءَها اليَومَ ذَلّتِ

وَعَظتُ ولَمْ أتْرُكْ مِن النُّصْحِ غايَةً … وجادَلْتُ قَوْمِى باللّتَيّا ، وباللّتِى

وعالَجْتُ أدْواءَ الصُّدُورِ دَفِينَةً … إلى أنْ تخَلّى الدّاءُ عنها فصَحّتِ

وكَمْ قائلٍ : « نفسِى » إذَا النّفْسُ بُوغِتَتْ … وماقالَ — مِثْلِى فِى المُلِمّاتِ — : « أُمَّتِى »

تَلَفَّتُّ يا رُوحِى وَأنتِ غَرِيبَةٌ … عَنِ الحَىِّ فاجْتازِى ، ولا تَتَلفَّتِى

عزلة واغتراب :

اتفقت خلال عزلة روحية فى ٢٥ من شعبان سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٣ م

غَرِيبٌ بِهٰذِى الدّارِ طالَ اغْتِرابُهُ ... فلاَ يَزْدَهِيــهِ أَهْلُه وصِحابُهُ
مِنَ الفِكْرِ والهَمِّ المُبَرِّحِ زادُه ... ومِنْ مُرْسَلِ الدَّمْعِ السَّخِينِ شَرابُهُ
لَقَدْ أَلِفَ الأَحْزانَ فالغَمُّ شَانُهُ ... وقَدْ فارَق الأَخْدانَ فالهَجْرُ دابُهُ
فمَا زالَ مشبوباً مِن الصَّفْقِ كَفُّهُ ... وما أنفكَّ مَبْرِيًّا مِنَ القَرْعِ نَابُهُ
أيُضْحِكُهُ وَخطُ المَشِيبِ وقَدْ مَضَى ... ـ عَلى حَسَراتٍ مُبْكِياتٍ ـ شَبابُهُ ؟
غَدًا يَقِفُ الجَبّارُ مَوْقِفَ سائِلٍ ... فيا لَيْتَ شِعْرِى ما يَكُونُ جَوابُهُ ؟
وأَسْعَدُ خَلقِ اللهِ مَنْ جاءَ فِي غَدٍ ... قَليلاً تَقَصِّــيهِ يَسِيرًا حِسابُهُ
إذا الكُتْبُ مِنْ هنّا وهنّا تطايَرَتْ ... أيُصْبِحُ مُعْطَى باليَمِينِ كِتابُهُ ؟

رِفقاً بنا :

نشرتها جريدة البرق البيروتية قبل الحرب العامة

لِمَنْ — خَفَّفَ اللهُ أطماعَكُمْ —   لِمَنْ تَكْنِزُونَ حُطامَ الدُّنَى ؟
لِنَقْضِ الهُدَى وإقامِ الضَّلالِ   وطَيِّ العَفافِ ونَشْرِ الخَنا
هُمومٌ تُشَوِّهُ وَجْهَ الحَياةِ   وليْسَتْ سِوَى تَبِعاتِ الغِنَى
ولَمْ أرَ مِثْلَ غواةِ النُّضَارِ   ولا مِثْلَ مَعْدِنِهِمْ مَعْدِنا
يَصونُونَهُ عَنْ دَواعِي الوُجودِ   ويُفْنُونَه في دَواعِي الفَنا
ولا مِثْلَ أوْجُهِهِمْ أوْجُهاً   كَوالِحَ لَمْ تَبْتَسِمْ لِلْمُنَى
ولا مِثْلَ راحَةِ أرْواحِهِمْ   وهَلْ راحةُ الرُّوحِ إلّا العَنا ؟
إذا أنتَ لَمْ تَقْتَنِ الصالحاتِ   أيُصْلِحُكَ النَّشَبُ المُقْتَنَى ؟
فيا ثَمَرَ التَّعَبِ المُسْتَمِرِّ   لَحَقًّا رأَيْتُكَ مُرَّ الجَنَى

***

يقولون : مَنْ هُوَ هٰذا الفَقِيرُ   فهَلْ قال قائِلُهمْ : مَنْ أنا ؟
ويَسْتَعْذِبون عَذابَ المُقِلِّ   جَزاءً عَلَى غَيرِ ما قَدْ جَنَى
أما تَسْتَثِيرُكُمُ البائِساتُ   فُرَادَى تَمُرُّ بكمْ أو ثُنَى ؟

تُقابلُ عِزَّتكُمْ بالصَّغارِ وتقْرِنُ صِحَّتكُمْ بالضّنَى
أَيَهْنيكُمُ أَنَّها فى الشَّقاءِ ويُشْقِيكُمُ أَنها فى الهَنا ؟
فَلا تنْسِفُوا الحقَ عنْ قُوَّةٍ بَعيدٍ لَها نَسْفُ ذاكَ البِنا
بِزُرْقِ الحُدودِ وحُمْرِ البُنودِ وبِيضِ السُّيوفِ وسُمْرِ القَنا
ولا بُدَّ لِلْحَقِّ مِنْ ثَوْرَةٍ رُوَيْدًا ، فإِمَّا لَكُمْ أَو لَنا
ولا تأْمَنوا أَن يرُوغَ الزَّمانُ ويُظْهِرَ ما لمْ يَكُنْ مُبْطِنا
فكَمْ كان ما لَمْ يُخَلْ كائِنًا وأَمْكَنَ مالا يُرَى مُمْكِنا
فيا عالَمَ اللَّيْلِ هل رَجْعَةٌ إلى عالَمٍ منْكَ أَوْفَى سَنا ؟
ويا أَيُّها الازَلِيُّ القَديرُ أَساراكَ نَحْنُ فرِفْقًا بِنا

سَكرةُ النفس :

من الأبيات السائِرة التي اتفقت له في دِمَشق سنة ١٣٣٩هـ = ١٩٢٠ م

جَرَتْ رَهْنَ تيّارٍ مِن الهَوْلِ زَاخِرٍ ‏ وما شَطَأَتْ حِينًا ، ولا قارَبَتْ مَرْسَى
وقَدْ رَكِبَتْ مِنْ رَأْسِها مُتَغَشْمِرًا ‏ يَمُرُّ ولا يَلْوِى لِحادِثَةٍ رَأْسا
تَجَلَّلَها لَيْلٌ طَوِيلٌ وما رَأَتْ ‏ عَلَى طُولِه بَدْرًا ولا طالَعَتْ شَمْسا
وتُمْسِي تُرَجِّى مُطْمَئِنًّا لِرَبِّها ‏ ويُصْبِحُ فيها مُسْتَطارًا كما أَمْسَى
سَفِينَةُ نَفْسٍ غامَرَتْ ، وتَعَرَّضَتْ ‏ لَها الهُوجُ لا يُبْقِين من أَحَدٍ نَفْسا
يَمُرُّ عَلَيها كلَّ حِينٍ مُذَكِّرٌ ‏ ومِنْ شِقْوَةٍ ما مَرَّ إلاّ لِأَنْ يُنْسَى
فيالَكَ عَقْلاً ما أَندَّ عن الهُدَى ! ‏ ويالَكَ قَلْبا ما أَشَدَّ وما أَقْسَى !

منتصف شوّال :

اتفقت إثر انفراج أزمة نفسيّة لازمته مدّة ، وقد تمّ انكشافها فى منتصف شوّال سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢م .

بُورِكْتَ مِنْ رَائِحٍ يا شَهْرُ أوْ غَادِي … فَفِيكَ دُونَ شُهُورِ اللهِ مِيلَادِي
ما فِيكَ عِيدٌ ولٰكِنْ فِيكَ أَزْمِنَةٌ … وفِيكَ ساعَاتُ حَظٍّ هُنَّ أَعْيَادِي
فِي الرُّوعِ نَفْثٌ تَعالَى اللهُ نَافِثُهُ … وجَلَّ مُلْهِمُهُ مِنْ غَيْرِ مِيعادِ
وفى الفُؤادِ إلى ما فَوْقَه نَظَرٌ … كأَنَّه راصِدٌ يَرْنُو بِمِرْصادِ
كانَ انْحِدَارِىَ بالأَفْكَارِ يَكْرُبُنِى … فَحانَ فِي سُلَّمِ الْأَفْكارِ إِصْعَادِي
أَنْجَدْتُ مِنْ بَعْدِ أَغْوَارٍ زَلَلْتُ بها … فأَنْجابَ عَنْ ثِقَتِى باللهِ إِنْجادِي
وقدْ حَدَتْنِىَ أَهْوَاءٌ مُضَلِّلَةٌ … عَدَلْتُ عَنْها وضَلَّ الرَّكْبُ والحادِي
طُوبَى لِعَبْدٍ أَسَرَّ اللهُ مِنْهُ لَهُ … نَجْوَى كَنَجْوَى كَلِيمِ اللهِ فِي الوادِي
يا لِلْبَرِيَّةِ مِنْ زَيْغٍ يُرادُ بِها … ومِنْ ضَلالٍ ومِنْ كُفْرٍ وإِلْحادِ
الكائِناتُ تَعالَى جَدُّ مُحْدِثِها … يُقالُ : مَوْجُودَةٌ مِنْ غَيْرِ إِيجادِ

ولم أر كالإنسان :

نشرتها مجلة الزهور المصرية لأول مرة

يَقُولُونَ أَحْيَا المَغْرِبانِ حَضارَةً ... وما حَيِيَتْ إلاّ لمَصْلَحَةِ الذّاتِ
يَعِيشُ سَعِيدٌ مُفْرَدٌ بينَ مَعْشَرٍ ... شَقِيٍّ ، وحَيٌّ واحدٌ بينَ أَمْوَاتِ
وكَمْ جائِعٍ يَرْنُو إلى مُتَفَكِّهٍ ... وعادِمِ قُوتٍ حَوْلَ واجِدِ أَقْواتِ ؟ !
وكَمْ جَسَدٍ فَوْقَ الأَخادِعِ شاخِصٍ ... إلى جُثَّةٍ تَحْتَ الأَخامِصِ مُلْقاةِ
ولَمْ أَرَ كالإِنْسانِ رَبَّ شَرائِعٍ ... حَديثاتِ وَضْعٍ ، أَوْ شَرائِعَ مُوحاةِ
ولٰكِنَّه لَمْ يَطْوِ لَيْلَ ضَلالِهِ ... هُدَى شارِعٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمٰواتِ
وَمَا الزَّمَنُ الماضِي بأَعْظَمَ مِحْنَةً ... مِنَ الحاضِرِ المَوْصُولِ بالزَّمَنِ الآتِي
يَظُنُّونَ هٰذَا العَصْرَ عَصْرَ هِدايَةٍ ... وأَجْدَرُ لَوْ نَدْعُوهُ عَصْرَ ضَلالاتِ
فإِنَّ خُرافاتٍ مَضَتْ قَدْ تَبَدَّلَتْ ... حَقائِقَ ، إلاّ أَنَّها كالخُرافاتِ

* * *

وأَكْذَبُ عَصْرٍ ما تَشَدَّقَ أَهْلُهُ ... ـ عَلَى ظُلْمِهِمْ ـ بالعَدْلِ ، أَوْ بالمُساواةِ
ذِئابٌ وَشاءٌ ، لا الذِّئابُ رَواجِعٌ ... عَنِ الغَيِّ ، أَوْ تَعْدُو عَلَى زُمَرِ الشّاةِ

* * *

تَتَبَّعْتُ آثارَ المَقابِرِ واجِماً ... لِما تَرَكَتْ فِيهِنَّ أَيْدِي المُلِمّاتِ

تأمَّلتُ عُقْبَى مَنْ بِهِنَّ ولَمْ تَزَلْ   حَقِيقةُ عُقْبَى المَوْتِ جِـدَّ مُعَمَّاةِ
وأحْجِيَة فِي حَلِّها قَدْ تَضارَبتْ   أَدِلَّةُ نَفْي فِي أَدِلَّةِ إثْبـــاتِ
أَبَتْ تَنْجَلِي الأسْرَارُ ، لِلّهِ سِرُّها   وقَدْ خَفِيَتْ ، لِلّهِ عِـلْمُ الخَفِيّاتِ
وما المَوْت إلاّ زَائِرٌ غيْرَ أَنهُ   مُخَـــــرِّبُ آثارٍ وهادِمُ لَذّاتِ
أَبٌ تارِكٌ شِبْلاً كَرِيماً ، وناشِئٌ   مُفارِقُ آباءٍ كِرَامٍ وأُمّاتِ
أَلاهل يَعُودُ المَوْتُ ـ وهوَ مُشَتِّتٌ   جَماعاتِ هٰذا الكَوْنِ ـ جامِعَ أَشْتَاتِ ؟
مِنَ الشِّعْرِ شِعْرٌ فِي القُبورِ مُشاهَدٌ   أَلَمْ تَرَها مَنْظومَةً نَظْمَ أَبْياتِ ؟

بين الأدب والأخلاق :

مما اتفق له سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٣ م

جِئْتُها كارِهًا وأَخْرُجُ مِنْها ... كارِهًا ، فالمَجِىءُ مِثْلُ الذَّهابِ
هِىَ دارُ الأَعْمالِ فاعْمَلْ لِتَلْقَى ... بَعْدَ دارِ الأعمالِ دارَ الثَّوابِ
أَجَلٌ إِنْ بَلَغْتَهُ حَقٌّ مَوْتٌ ... وكذا الحَقُّ فِي بُلُوغِ النِّصابِ
أَنا يا مُكْبِرِى ومُطْرِى خِلالِى ... عارِفٌ مَنْ أَنا ، خَبِيرٌ بما بِى
أَنا مَنْ لَسْتُ حِينَ أَسْأَلُ نَفْسِى ... سِرَّ نَفْسِى مُزَوَّدًا بِجَوابِ
أَنا مَنْ لَسْتُ دارِيًا بِغُدُوِّى ... أَوْرَواحِى ،ماذا يَكُونُ اكْتِسابِى
أَنا فِى البَحْرِ قَطْرَةٌ ، أَوَ يَخْفَى ... عَنْكَ ما شَأْنُ قَطْرَةٍ فِى العُبابِ ؟
حُجِبَتْ طَلْعَةُ الحَقِيقَةِ عَنِّى ... لَيْتَها تُسْتَشَفُّ خَلْفَ الحِجابِ
اِسْفِرِى يا مَلِيحَةَ الدَّلِّ إِنِّى ... صِرْتُ أَزْدادُ فِتْنَةً بالنِّقابِ
لَسْتُ أَغْتَرُّ بالصَّوابِ أَراهُ ... خَطَأُ المُخْطِئِينَ أَصْلُ الصَّوابِ
عَزَّ قَوْمٌ لَوْ حُوسِبُوا لَأَفاقُوا ... رُبَّ عِزٍّ يُنْسِيهِ ذُلُّ الحِسابِ
كَثْرَةٌ فِى القُشُورِ قَدْ نَقَلُوها ... عَنْ سِواهُمْ ، وقِلَّةٌ فى اللُّبابِ

خير رأييك ما يراه النبي :

مما اتفق له فى ١٥ رمضان سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

أنا فِي هـٰـذِهِ الحَيَاةِ شَجِيٌّ ... لَيْس لِي فِي الحَيَاةِ عَيْشٌ هَنِيٌّ
كَمْ أَرَانِي تُوحَى إِلَيَّ ٱلْمَعَانِي ... وشِفَائِي مِنْ ذَاكَ مَوْتٌ وَحِيٌّ
أَدَّعِي الْعِلْمَ ، أَيْنَ ما أَدَّعِيهِ ؟ ... إِنَّ عِلْمِي بِمـــا أَراهُ بَكِيٌّ
يَغْمُضُ الظَّاهِرُ الْجَـلِيُّ عَلَيْنا ... أَفَيَبْدُو؟ — هَيْهَاتَ يَبْدُو — الخَفِيُّ
بَشَرٌ نَحْنُ قاصِرُونَ فَـلِمْ لاَ ... يَتَنَاهَى إِدْراكُنا البَشَرِيُّ ؟
ضَـــلَّ مَنْ عَطَّلُوا ، وَمَنْ شَبَّهُوهُ ... بِسِواهُ ، وأَخْطَأَ (الْقَــدَرِيُّ)
شِيَعًا أَصْبَحُوا ، (فَمُعْــتَزِلِيٌّ) ... لَيْسَ يَصْـبُو لِرَأْيِهِ (الأَشْعَرِيُّ)
لَقَّبَ النّاسُ مَنْ تَوَلَّوْهُ شَيْخًا ... وهُوَ فِي جُلِّ ما يَراهُ صَبِيُّ
غَمَزُوا غَيْرَهُمْ وقَالُوا : ظَنِينٌ ... وهُمُ الْخَاطِئُونَ ، وهوَ الْبَرِيُّ
خَبَّرُونا عَنِ السَّـــمَاءِ وقَالُوا : ... فَلَكٌ دائِرٌ وشَـكْلٌ كُرِيُّ
رُبَّمـا صَحَّ ما رَأَوْهُ ولٰـكِنْ ... خَيْرُ رَأْيِيْكَ ما يَراهُ النَّبِيُّ

بقاء الأصلح :

اتفقت أوائل محرم سـنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م . وقد نشرتها مجلة العرفان في التاريخ المذكور .

فِي كلِّ آونَةٍ خيالٌ يَسْنَحُ نُمْسِي بذِكْرِكُمُ الحَميدِ ، ونُصْبِحُ
يُبْغَى لِقاؤُكُمُ ، ويُلْغَى غَيْرُه ويُطاعُ قَوْلُكُمُ ، وتُعْصَى النُّصَّحُ
العاشِقُون عَلى اختِلافٍ إنْ جَرَى ذِكْرُ الْهَوَى ، فمُعَرِّضٌ ومُصَرِّحُ
العِيُّ إن ذُكِرَ الحَبيبُ بَلاغَةٌ وفَصاحَةُ العُشَّاقِ ألاَّ يُفْصِحوا
ضِدَّانِ يَكْتَنِفانِ سِرَّ صَبابَتِي جَلَدٌ يصونُ ، يَلِيه دَمْعٌ يَفْضَحُ
فَرَحُ الغُلاةِ بحُبِّهِمْ أَنْ يَحْزَنوا وَقْتَ السُّرورِ ، وحُزْنُهُمْ أن يَفْرَحوا
جازَفْتُ فى سُبُلِ الوَفاءِ براحَتِي أشْقَى ، وأتْعَبُ حالَتَيَّ الأَرْوَحُ
مِنْ رَأى مَنْ أَلِفَ الشَّقاءَ بحُبِّكُمْ أَنَّ الشَّقِيَّ هو السَّعيدُ المُفْلِحُ
معَكُمْ هَوايَ وفيكُمُ ، وإليكُمُ وإلى وَلائِكُمُ أَميلُ ، وأجْنَحُ
لَوْ أدْرَكَتْ فيما ابْتَذَلْتُ مَدامِعِي هٰذِي البِطاحُ إذَنْ لَسالَ الأَبْطَحُ
يَنْبو بِيَ البَلَدُ الفَسيحُ مَجالُهُ ويَضيقُ بِي وبِما أقولُ الصَّحْصَحُ

***

أطْبَقتُ أسْفارِي وقُلْتُ لها : أعزُبِي ... سِفْرُ العَوالِمِ بَعْضُ ما أتَصَفَّحُ
الـكائِناتُ عَلى أيادِي رَبِّهـــا ... تُثْنِي بألْسُنِ حالِهـــا وتُسَبِّحُ
أعْرَضْتُ عن شَرْحِ الحَقائِقِ جانباً ... حالِي كحالِ حَقائِقِي لا تُشْرَحُ
وحَبَسْتُ عَنْ أهْلِ الغُرورِ نَصائِحِي ... غَشَّ الرَّهينَ بجَهْلِه مَنْ يَنْصَحُ
طِبُّ النُّفوسِ هو البَلاءُ ، فبَعْضُها ... يَرِدُ الفَسادُ عليه مِمَّا يُصْلِحُ
خَفِيَ الصَّوابُ فـكَمْ قَبيحٍ يُدَّعَى ... فيه الجَمالُ ، وكَمْ جَميلٍ يَقْبُحُ
حَجَبَ الحَقائِقَ عَنْ ذَوِيها ذَمُّنا ... ما لا يُذَمُّ ومَدْح ما لا يُمْدَحُ
لِسخافَةِ العَقْلِ الرَّكيكِ عَلائِمٌ ... مِنْ بَعْضِها تَرْجيحُ ما لا يَرْجَحُ
وإذا تَنازَعَتِ البَقاءَ عَوامِلٌ ... صَحَّ الأَصَحُّ بقاؤُه ، والأَصْلَحُ

العلم والمال :

تصوير الشباب المنغمس فى الترف ، وقد نشرتها لأول مرة مجلة « العرفان »

العِلمُ والجَهلُ إثراءٌ وإقلالُ ... وأمتَعُ الثَّروَتينِ العِلمِ لا المالُ
مالى أرَى النَّاسَ بالأعراضِ قد فُتِنوا ... والافتِتانُ بحُبِّ الشَّىءِ قتّالُ
إذا رأوا داعِيًا للمَفخَرِ انقلَبوا ... وإن رَأَوْا داعِيًا للثَّروَةِ انهالُوا
المُفصِحُ العِلمُ لا صَوتٌ ولا زَجَلٌ ... والكاشِفُ العِلمُ لا زَجْرٌ ولا فالُ
ورُبَّ أَخلقَ عافٍ رَسمُ صُورَتِهِ ... كما عفَتْ تحتَ مَجْرَى الرِّيحِ أطلالُ
يَجلُو مَطالِعَ تبدُو وهى كالِحَةٌ ... ويَستَجِدُّ بُروداً وهى أسمالُ

***

وظامِىءٍ لا يَذُوقُ العَذبَ وارِدُهُ ... ولَفظُهُ بِفَمِ الظَّمآنِ سَلسَالُ
إذا فَتَحتَ ضميراً منه اقفلَهُ ... حَمِدتَهُ وقُلوبُ النَّاسِ أقفالُ
قَدْ هَذَّبَ الأدبُ العالِى شمائِلَهُ ... وصَدَّقَتْ فيه قَولَ النّاسِ أفعالُ
ورُبَّ مُنتَصِبٍ كالبانَةِ اعتَدَلَتْ ... تَختالُ طَوعَ النُّعامَى حيثُ تَختالُ
مُوَرَّدِ الوَجنَتَينِ أحمَرَّ لَونُهُما ... كأنَّ نَضحَ أعالِيهنَّ جِريالُ
مُمَثَّلٍ للعُيونِ الشّاخِصاتِ له ... كأنّه — جَلَّ صُنعُ اللهِ — تِمثالُ
يَنهَلُّ كالماءِ إعجاباً برِقَّتِهِ ... أو كالكَثيبِ كَثيبِ الرَّملِ يَنهالُ

لا طَيِّباتٌ مِن الاخلاقِ تَرْفَعُهُ ... ولا عُلومٌ تُحَلّيهِنَّ أعمالٌ
العارُ يَدْعوه دَعْوَ الصَّيْدِ خاتِلَه ... ويَطَّبيه — أطِبّاءَ العاطِشِ — الآلُ
فكَيْفَ يُحْرَمُ ذو حقٍّ يُقَلِّدُه ... مَنْ لَيْسَ مِنْ شأنِه أنْ تُعْكَسَ الحالُ؟
أَلِلْجُدُود — كما قالوا — مُساعَدَةٌ ... وللسّعادةِ إدْبارٌ وإقْبالُ؟
أين المُشَيع تَحْمِي الشَّرْقَ نَهْضَتُه ... كما تَهَيّأَ دُون الغاب رِئْبالُ؟
ياساسَةَ المَغْرِبِ المُسْتَشْرِقِ اقْتَسِموا ... فالشَّرْقُ نَهْبٌ ومافي الشَّرْقِ أَنفالُ
إذا وجَدْتُمْ سُكوناً في مَناكِبِه ... تَرَقبُوا أنّ عُقْبَى الأمْرِ زِلْزالُ
وأنتَ يا شَرْقُ إنْ خَيَّبْتَ لي أَمَلاً ... فإنَّ كلَّ حياتي فيكَ آمالُ

محاكمات :

يصوّر فيها حال الزعماء الكسالى أو الجهال وقد نشرتها مجلة « العرفان » سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م .

أَمُلْتَمِسَ الْحَقِيقَةِ يَدَّعِيهَا زَلَلْتَ رَوِيَّةً ، وضَلِلْتَ عَقْلاَ
رَأَيْتُ الْمَرْءَ أَنَّى زَادَ عِلْمًا تَحَيَّرَ فِكْرُهُ فَازْدَادَ جَهْلاَ
خَبَايَا الْكَوْنِ أَكْثَرُهَا خَفِيٌّ ولَمْ نَسْتَجْلِهِ إِلاَّ الأَقَلاَّ
حَقَائِقِ لا تُحِيطُ بِهِنَّ بَعْضًا ولَوْ أَفْنَيْتَ عُمْرَ الدَّهْرِ كُلاَّ
وهَبْ أَنَّا عَلِمْنَاهُنَّ فَرْعًا فإِنَّا لَيْسَ نَعْلَمُهُنَّ أَصْلاَ
لَئِنْ صَوَّرْتَهَا فَرَأَيْتَ ذَاتًا فَقَدْ أَخْطَأْتَهَا فَلَمَحْتَ ظِلاَّ
أَرَاكَ وإِنْ قَتَلْتَ الدَّهْرَ خُبراً بِحِجْرِ أَبِيكَ هَذَا الْكَوْنِ طِفْلاَ
أَنَدْرِى نَحْنُ مَا سَيَكُونُ بَعْدًا إِذَا لَمْ نَدْرِ مَاذَا كَانَ قَبْلاَ ؟

* * *

عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤَيِّدُ مُدَّعَاهُ ويَنْصُرُ رَأْيَهُ قَوْلاً وفِعْلاَ
يَسُوقُ لَهُ دَلِيلَ تَخَرُّصَاتٍ ويَمْنَعُ خَصْمَهُ أَنْ يَسْتَدِلاَّ
رُوَيْدَكَ قَدْ فَتَنْتَ بِهَا نُفُوسًا رَأَتْكَ لِأَنْ تُهَذِّبَهُنَّ أَهْلاَ

دُجَى التَّقْلِيدِ مِنْكَ أَضَلَّ قَوْمًا ... ولَوْلَاهُ صَبَاحُهُمُ تجلى
فَتِي التَّقْلِيدِ مَاتَ ، وَلَوْ تَقَرَّى ... شُؤُونَ الْمُسْتَقِلِّينَ اسْتَقَلاَّ
يُصَوِّبُ دُونَهُمْ طَرْفًا غَضِيضًا ... ويَقْبِضُ دُونَهُمْ بَاعًا أَشَلاَّ
فَمَأْسُورٌ وإِنْ قَالُوا طَلِيقٌ ... ومَأْخُوذٌ وإِنْ قَالُوا مُخَلَّى
ومَا طَاوٍ تُرَاعُ الوَحْشُ مِنْهُ ... عَمَلَّسُ يَسْحَبُ الذَّيْلَ الرَّفَلاَّ
يُحَدِّدُ مِنْهُ آزِمَةً ، ويَلْوِى ... ذِرَاعًا — لاَ تَمَلُّ الْبَطْشَ — فَتْلَى
تَعَرَّضَ لِلْقَطِيعِ وقَدْ تَرَامَى ... عَلَى زَرْقَاءَ تُعْطِي الرِّيَّ نَهْلاَ
فَرَوَّعَ سِرْبَهَا نَهْبًا مُبَاحًا ... وفَرَّقَ مِنْهُ بَعْدَ الجَمْعِ شَمْلاَ
وأَلْقَى فِي بَرَاثِنِهِ أَغَنَّا ... كَسَا أَبْشَارَهُنَّ دَمًا مُطَلاَّ
يَعِجُّ فَيَسْتَفِزُّ فُؤَادَ أُمٍّ ... رَمَتْ لِعَجِيجِهِ نَظَرَاتِ ثَكْلَى
بِأَغْدَرَ مِنْكَ إِذْ تَبْتَزُّ مَالاً ... يُحَرِّمُهُ النُّهَى ، وتَرَاهُ حِلاَّ
فَمَنْ أَفْتَاكَ فِيهِ ؟ وأَيُّ شَرْعٍ ... أَبَاحَ لَكَ الوِلاَيَةَ لَيْسَ إِلاَّ ؟
ولٰكِنْ عِشْتَ فِي أَرْبَاضِ وَحْشٍ ... شَمَخْتَ عَلَيْهِمُ لَيْثًا مُدِلاَّ
إِذَا وُجِدَ الْمُرِيبُ بِأَرْضِ جُبْنٍ ... تَوَلاَّهَا ، وإِنْ شَجُعَتْ تَوَلَّى

***

أَتَعْلَمُ مَا تُجِنُّ الأَرْضُ فِيهَا ... ومَا ضَمَّتْ حَشَا الفَلَكِ المُعَلَّى ؟
أَلاَ انْظُرْ فِي الْعَوَالِمِ فَهِيَ سِفْرٌ ... بِهِ آيَاتُ بَارِيهِنَّ تُتْلَى

ولَوْ فَكَرْتَ صِرْتَ عَلَى ارْتِباءٍ طَلَعْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيا مُطِلاّ
إذنْ لرأَيْتَ كَيْفَ الوَصْفُ يُوحَى؟ وكَيْفَ خَواطِرُ الشُّعَراءِ تُمْلَى ؟

* * *

تَدَجَّجتَ الرِّياءَ سِلاحَ ذُلٍّ ومَنْ غَلَبَ الرِّياءُ عليهِ ذَلّا
أرَى مُتَسَلِّحَ الأوْهامِ جَهْلاً كَمَنْ يَتَقَلَّدُ السَّيْفَ الأفَلّا
وَمَنْ جَهِلَ الحَيَاةَ زَواهُ داءٌ تَعَضَّلَ ما اسْتَطَبَّ ولاَ اسْتَبَلّا
يَسُومُونَ النُّفُوسَ الظُّلْمَ حَتَّى إذَا عَاتَبْتَهُمْ صَبَغُوهُ عَدْلاَ
حَنانَيْكُمْ فَقَدْ خُلِقَتْ لِتَرْعَى ومَا خُلِقَتْ نفُوسُكُمُ لِتُقْلَى
لِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ وجِّهُوهَا وَمَا أَسْرَارُها جَفْرًا ورَمْلا
دَعُوها تَسْتَقِي المَاءَ المُصَفَّى فَقَدْ كَرَعَتْ مَنَابِتُهُنَّ مَحْلاَ
يرُدُّ إليْهِ عَاطِشُها فإنْ لَمْ تَجِدْهُ وابِلاً غَدَقًا فَطَلّا

بين القول والعمل :

شؤونٌ أخلاقيّة

مما اتفق له سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢ م

إذا كَثُر القَوْلُ قَلَّ العَمَلْ   وإن قَصُرَ الذِّكْرُ طال الأَمَلْ
مُصاحَبَتى لِلأُسودِ الغِضابِ   تَلَتْها مُصاحَبَتى لِلحَمَلْ
أرى جُمَلاً ، وتَفاصِيلُها   لَدَى مَنْ يُفَصِّلُ تلك الجُمَلْ
مَصيرِىَ لِلمَوْتِ لا بُدَّ منه   إذا لم يكن خَبَباً ، فالرَّمَلْ
أَجُنْحَ الدُّجى جَمَلاً يَزْعُمونْ ؟   لَقَدْ أَخْطأُوا ، فالمَنايا جَمَلْ
رأيتُ الحَياةَ على حُبِّها   تَزيدُ امتِداداً إلى أَنْ تُمَلّ
وأَقْرَبُ ما كانَ بَدْرُ السَّماء   من النَّقْصِ حِينَ يُقال : اُكْتَمَلْ
جُروحُ القَضا غَيْرِ هٰذِى الجُروحِ   ويا رُبَّ جُرْحٍ سِواها انْدَمَلْ

الأخلاق :

وهى من أوائل شعره

اِضرِبْ بِطَرْفِكَ حيثُ شِئْتَ فهل ترَى ... فى الكَوْنِ إلَّا مايَرُدُّكَ مُعْجَبا
أُنظُرْ فإنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةً ... مَرْعِيَّةً ، ولِكلِّ شَعْبٍ مَذْهَبا
قَوْمٌ على صِدْقِ المَحَبَّةِ أقسَموا ... ومُقَسَّمونَ تفرَّقوا أيْدِى سَبَا
ومُطالِبٌ بحُقوقِهِ ومُغَفَّلٌ ... لَمْ يَدْرِ — إلَّا الغَضَّ — عَنْها مَطْلَبا
كَمْ مُذْنِبٍ قالوا نَقِيٌّ بُرْدُهُ ... ونَقِيِّ بُرْدٍ عُدَّ فِيهِمْ مُذْنِبا
ومُوَقَّرٍ فى الدَّسْتِ لَبَّى قَلْبُه ... داعِى الضَّلالَةِ مَسْرَحًا ، أو مَلْعَبا
فإذا رَأَيْتَ رأَيْتَ مِنْه هَضْبَةً ... حَتَّى إذا حَرَّكْتَها طارَتْ هَبا
يا مَنْ تعرَّضَ ثَغْرُه لى باسِمًا ... إنِّى عَرَفْتُ البَرْقَ بَرْقًا خُلَّبا
أغْوَيْتَنِى فرَأَيْتُ ظَبْيًا أعْفَرًا ... ولَوْ اهتَدَيْتُ رأيتُ لَيْثًا أغْلَبا
لكَ وَفْرَةٌ سابتْ فكانتْ أرْقَمًا ... أو طُرَّةٌ لُوِيتْ فكانتْ عَقْرَبا
عَذِّبْ بِهَجْرِكَ غيرَ قَلْبِى إنَّه ... أمْسَى عَلَى جَمْرِ الغَضَى مُتَقَلِّبا
لاَ يستَفِزُّ القَلْبَ حُسْنُكَ فاتِنًا ... إلاّ إذا الشَّرْقُ استَفَزَّ المَغْرِبا

***

لِلْمَجْدِ قَوْمٌ لا الحَدِيدُ عَصاهُمُ ... نَهْجًا ، ولا مَتْنُ الدَّوارِعِ مَرْكَبا
لَمْ تَكْفِهِمْ بِنْتُ البُخارِ عَجِيبةً ... حتّى بَنَوْا لِلْجَوِّ مِنْها أَعْجَبا
حَسَدُوا الطُّيورَ فأَطْلَقوا أَمْثالَها ... مُتَصَعِّدا هٰذا ، وذا مُتَصَوِّبا
مالِي خَبَرْتُ بَنِي أَبِي فَوَجَدْتُهُمْ ... والجَهْلُ أَشْرَفُ ماوَجَدْتُ لَهُمْ أَبا
وإذا اسْتَنَرْتُ بِغَيْهَبِ آراءِهِمْ ... فَكَأَنَّنِي مِنْها اسْتَنَرْتُ الغَيْهَبا
قالوا : فُلانٌ فاضِلٌ فَرَأَيْتُهُمْ ... لا يَحْسُبونَ الفَضْلَ إِلَّا المَنْصِبا

من لزوم ما لا يلزم :

٤ شوال سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

حَياتِي هٰذهِ لَيْـلٌ　　إذا مِتُّ غَداً يُجْلَى
وما آسَى مِن الدُّنْيا　　على شيء وإنْ جَلَّا
أَلَسْنَا الآنَ بالرِّجْـلِ　　نَدُوسُ الخَيْلَ والرَّجْلَا
بَنُو عِجْلٍ قَضَوْا طُرًّا　　وقَوْمٌ عَبَدُوا عِجْـلا
مَنايانا — وإنْ خِيلَتْ　　بِطاءً — لَمْ تزَلْ عَجْلَى

حول لندن :

اتفق نظم هذه القصيدة إثر زيارة صديق له عاد من أوربة سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م ثم رجع إليها ، وكان ممن تسكن إليه النفس ، ويشير فى هذه القصيدة إلى أنه كان عرضة للتجسس من قبل خصوم التجديد والنهوض .

أَحِنُّ وهَلْ تُجْدِى العِراقِىَّ حَنَّةٌ إذا حَجَبَتْ عنه الأحِبَّةَ (لَنْدُنُ) ؟
ولِى زَفْرَةٌ وَحْشِيَّةٌ لا أَرُدُّها إذا ذَكَرَتْكَ النَّفْسُ يا مُتَمدِّنُ
أَرَى (لَنْدُنًا) تاهَتْ وحَقٌّ لِمثلِها (فبارِيزُ) صِفْرٌ من سَناكَ و(بِرْلِنُ)
إذا كان حُبُّ الذّاتِ أَوّلَ خَلّةٍ فأَيْنَ تُقَى الأَبْرارِ أَيْنَ التّديُّنُ ؟
سَلِ الكُرَةَ الغَبْراءَ تُخْبِرْكَ أَنّها أَبَتْ أن يَلُمَّ المُصْلِحَ الحُرَّ مَوْطِنُ
تَخَوَّنَ مُوسى قَوْمُ مُوسى وشَرَّدَتْ أَخا مَدْيَنٍ عَمّا يُحاوِلُ مَدْيَنُ
مَتى نَحْنُ نَحْيا ، أو تَمُوتُ سِياسَةٌ لهَا كلَّ يَوْمٍ مَظهَرٌ مُتَلَوِّنُ
خِداعٌ وكِذْبٌ ، وافْتِراقٌ وقَسْوَةٌ وظُلْمٌ ، أهٰذا العالَمُ المتَمَدِّنُ ؟
ألا هَلْ أَرَانى فَوْقَ ظَهْرِ مُخِبَّةٍ أُصَعِّدُ أنفاسِى لها فتُدَخِّنُ ؟
وهَلْ لى ـ وإنْ أَحْبَبْتُ أَهْلِى ومَوْطِنى ـ مِن النّاسِ أَهْلٌ آخَرون ، ومَوْطِنُ ؟
سَتَدْفَعُنى يا مَسْكَنِى عنكَ هِمّةٌ لهَا العِزُّ دارٌ والحَفيظَةُ مَسْكَنُ
وسَوْفَ ـ وإنْ أَخْفَيْتُ وجْهَ سَريرَتِى ـ تَبوحُ بهِ أَرْضُ العِراقِ ، وتُعْلِنُ

أَرى دَأْبَ قَوْمِى فى العِراقِ تَجَنُّبِى ... إذا قُلْتُ : لى حُبُّ الفَضيلَةِ دَيْدَنُ
كأَنِّى مُسِىءٌ بَيْنَ أَظْهُرِ جِيرَتِى ... ولَوْ أنصَفونى قيل : إنّكَ مُحْسِنُ
يَقُولُونَ : مُرْتادُ الفَضِيلَةِ جاهِلٌ ... ومُطَّلِبٌ فَصْلَ الخَطابَةِ أَلْكَنُ
ومَهْما أَكُنْ مِنْهمْ عَلَى النَّفْسِ آمِنًا ... فإنِّى عَلَى تَضْيِيعِها لَسْتُ آمَنُ
فكَمْ أَتمَنَّى — والأَمانِىُّ ضَلَّةٌ — ... وأَقْتُلُ فيها الوَقْتَ ، والوَقْتُ مُثْمِنُ
وَكَمْ أَتَّقِى نَبْلَ المَقالِ مُسَدَّداً ... إلىَّ ومالِى غَيْرَ صَبْرِىَ جَوْشَنُ
وما حالُ مَلْآنٍ هُدًى وَأَمانَةً ... إذا قِيلَ : هٰذا مارِقٌ مُتَخَوِّنُ
وكَمْ يَبْتَغى مِنِّى رِفاقِى أَنَّنى ... أُماثِلُهُمْ فى الخُلْقِ ، والخُلْقُ مَعْدِنُ
وَلَوْلا اُخْتِلافٌ فى العَناصِرِ واضِحٌ ... لَمَا كانَ هٰذا العالَمُ المُتَكَوِّنُ
سأَتْرُكُ دارَ الهُونِ تَرْكِى لِأَهْلِها ... فإنّ احتِمالَ البَيْنِ عِنْدِىَ أَهْوَنُ
وَأَذْهَبُ لا أَدْرِى أَيَوْمِىَ أَشْأَمٌ ... بما حَكَمَ التَّقْدِيرُ ، أم هو أَيْمَنُ ؟
وَلَسْتُ امْرأً لاحَتْ مَغامِزُ قَصْدِه ... وَيَلْوِيهِ عَنْها القائِفُ المُتَكَهِّنُ
إذا صَدَقَتْ منكَ الإِرادَةُ أَنْتَجَتْ ... فرُبَّ مُحالٍ للإِرادةِ مُمْكِنُ
أَلا لَيْتَ لا يَأْتى عَلَىَّ مُسَيْطِرٌ ... ولا يَتَقَرَّى دَفْتَرِى مُتَبَيِّنُ
ويالَيْتَ لا يَغْتالُنى مُتَجَسِّسٌ ... ولا يَتَوَخَّى ما أَرُومُ مُهَيْمِنُ
كأَنّ كِتابى — وهو آياتُ حِكْمَةٍ — ... بما يُرْجِفُ السَّبْعَ الطِّباقَ مُدَوَّنُ
وما هو إلاّ بالحَقائِقِ طافِحٌ ... وبالصِّدْقِ أَعْلَى صَفْحَتَيْهِ مُعَنْوَنُ

هَوَى نَفْسِي :

٢١ رمضان ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

وإنِّي لَمَيَّالٌ إلَى نَحْوِ ما جَرَى ……… بِهِ قَلَمِي أوْ مَا تَضَمَّنَهُ طِرْسِي
كَتَبْتُ وقَدْ جارَيْتُ — فيما ظَنَنْتُهُ ……… عِلَاجًا لأهْوَاءِ النُّفوسِ — هَوَى نَفْسِي

الوجدانيّات

وهو باب ينتظم ما له من المقطّعات فى موضوع الحب أو الغَزَل

لغة الحب :

تَفاهمَتا عَيْني وعَيْنُـكِ لَحْظَةً   وأَدْرَكتا أَنَّ القُلوبَ شَواهِدُ
مَشَتْ نَظْرَةٌ بيْني وبَيْنَكِ، وانْبَرَى   إلى القَلْبِ مَدْلولٌ لا من القَلْبِ رائِدُ
كأَنَّ الّذي حاوَلْتُ ثَمَّ وحاوَلَتْ   مِنَ الحُبِّ مَعْنًى بيننا مُتَوارَدُ
شَواهِدُ حالي مُفْصِحاتٌ بما انطَوى   عليه ضَميري لا الفِصاحُ الشَّوارِدُ
جِباهُ الَّذين اسْتَهْجَنُوا الحُبَّ كَزَّةٌ   وأَوْجُهُهُمْ ، شَرُّ الوُجُوهِ الجَوامِدُ
وَما طالَ عَهْدي بالقَصيدِ ومَنْ رَأى   لَكمْ نَظَراتي قال : هُنَّ القَصائِدُ
إذا لم يكن لِلْعَيْنِ لَحْنٌ ومَنْطِقٌ   فمِنْ أين قالوا : لِلدُّموعِ فَرائِدُ ؟
وما خَيْرُ رَأْسٍ لا تَبِينُ لِناظِرٍ   على طَرْفَةٍ من ناظِرَيْه المَقاصِدُ !
ثَنَيْتُ إليكِ النَّفْسَ عن شَهَواتِها   وجاهَدْتُها . ما حُبُّ من لا يُجاهِدُ ؟
كثيرٌ مُحِبُّوكِ الَّذينَ تَجَلَّدوا   وأمّا الّذي جارَى هَواكِ فواحِدُ
دَواوِينُ أَهْلِ الحُبِّ تَفْنَى، ولِلْهَوَى   هَوَى الرُّوحِ دِيوانٌ مِنَ الشِّعْرِ خالِدُ

لَيْـــــلَى :

أَتَسْهَرُ هٰذَا اللَّيْلَ أَجْفانُها الوُطْفُ ؟ وتَجْتَنِبُ إلاغْفاءَ مِثْلِىَ أَمْ تَغْفُو ؟
أَجَلْ، أنامِنْ (لَيْـلَى) على الذِّكْرِ ساهِرٌ ولَيْلِىَ مِنْ (لَيْـلَى) هو الشَّعَرُ الوَحْفُ
إذا بَلَغَ الحَسْناءَ صَفْوِى تَكَدَّرَتْ وإنْ جاءَها عن ناقِلٍ كَدَرِى تَصْفُو
تُعَلِّلُنِى الأَوْهامُ فى قُرْبِ مَنْ نَأَى وتُطْمِعُنِى الأَحْلَامُ فى وَصْلِ مَن يَجْفو
عِدِينِىَ أَقْنَعْ منكِ بالوَعْدِ وَحْدَه فَقَدْ صَحَّ عِنْدِى أنّ شِيمَتَكِ الخُلْفُ
تَعَفَّفَ بَعْدَ العَجْزِ قَوْمٌ فما حَكَوْا ولا أَشْبَهوا قَوْمًا متى قَدَرُوا عَفُّوا

الهوى:

نُشرت فى العدد ٢٣٩ من السنة السادسة لجريدة البرق البيروتية وذلك سنة ١٩١٤

أَمَّا اُلهْوَى فَدَليلُ تَأْثِيرِ اُلهْوَى ذِكْرَاهُ أَنِّى قِيلَ سَالٍ رَبُّهُ
إِنِّى لَأَكْرَهُ سَلْوَتِى ، أَمَّا الهَوَى — وعُيُونِكُمْ — فَأُحِبُّهُ وأُحِبُّهُ
وَبَلِيَّتِى فِى الحُبِّ أَنِّى أَيْنَمَا وُجِدَ الجَمَالُ وَجَدْتُ أَنِّى صَبُّهُ
وبِرُوحِيَ القَمَرُ اُلّذِى قابَلْتُهُ تَحْتَ الدُّجَى وقَدِ اُضْمَحَلَّتْ شُهْبُهُ
فاسْتَضْعَفَ القَمَرَ المُنِيرَ وقالَ لِى : هٰذَا هُوَ القَمَرُ الّذِى أَنَا تِرْبُهُ ؟
نَجَحَ الوُشَاةُ فصَارَ هَجْرًا وَصْلُهُ مِمّا جَنَوْهُ وصار بُعْدًا قُرْبُهُ
مُتَوَاصِلَانِ يَزورُنِى ويُغِبُّنِى حَذَرَ العِدَى فأَزُورُهُ وأُغِبُّهُ
قَالوا: الفِرَاقَ ، فقُلْتُ: إِى وحَيَاتِهِ إِنّ الفِرَاقَ عَلَىَّ سَهْلٌ صَعْبُهُ
مَا فَارَقَ القَمَرُ المُزَايِلُ نَاظِرِى إِلاَّ وعَرَّسَ فِى الجَوَانِحِ رَكْبُهُ
قَالوا: اعْتَزَلْتَ النَّاسَ،قُلْتُ: مُتَيَّمٌ فِى الْحُبِّ دَيْدَنُهُ النِّفَارُ ودَأْبُهُ
وتَوَهَّمُوا أَنِّى خَلَوْتُ ومَا دَرَوْا بِمَكانِنا أَنا والرَّجاءُ وحُبُّهُ

أُغنيَةُ الرُّوح :

مما اتفق له فى دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م

شَغَلَ السَّمِيرُ جَوَارِحِى ، وشَغَلْتُمُ رُوحى ، فكُنْتُمْ دُونَهُ سُمَّارَها
ما شَأْنُ جُثْمانِى ؟ وما أَوْطارُه ؟ الرُّوحُ بالِغَةٌ بِكُمْ أَوْطارَها
أَنَّى تَهَشُّ إلى حَدِيثِ مُحَدِّثٍ روحٌ تُكاشِفُ مِثْلَكُمْ أَسْرَارَها ؟
نِلْتُمْ حَقيقتَها التى خَلَصَتْ لَكُمْ طَوْعًا ، ونالَ سِوَاكُمُ آثارَها
ما آثَرَتْكُمْ بالوَلوعِ ، وإنما جَهِلَ الوَرَى وعَرَفْتُمُ مِقْدارَها
عَيَّ اللِّسانُ لأنَّ رُوحَكَ أَوْقَعَتْ أَلْحانَها ، وتَنَاشَدَتْ أَشْعَارَها
العودُ ، والوَتَرُ الفَصيحُ لِأَنفُسٍ جَسَّ الهَوَى بِمُرورِهِ أَوْتارَها
خانَتْكَ فى حَجْبِ الغَرامِ ضَمائِرٌ كانَ الغَرامُ — ولا يزالُ — شِعارَها

بين العقل والقلب :

قَلْبِي يُرِيدُ بِلا غِبٍّ زِيَارَتَكُمْ   وَالعَقْلُ يَنْهَاهُ إلّا بَعْدَ إِغْبَابِ

قَضِيَّةٌ بِقِيَاسِ الرُّوحِ مُوجَبَةٌ   ولِلنُّهَى جَنْبَتَا سَلْبٍ وإيجابِ

ما أنتَ مِمّن يُرِيدُ الحُبَّ فَلْسَفَةً   — ياقَلْبُ — ذاتَ بَرَاهِينٍ وأَسْبابِ

تَنَبَّهَ العَقْلُ لِلسَّلْوَى يُحَرِّكُنِي   فَنَبَّهَتْ حَرَكَاتُ الشَّوْقِ أَعْصَابِي

مازالَ في الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ذِكْرُكُمُ   نَجْوَى مُصَلَّايَ ، أو تَسْبِيحَ مِحْرَابِي

لَمْ أَدْرِ ما أَتَهَجَّى ؟ غيرَ أنّكُمُ   في اللَّحْنِ لَحْنِي وفي الإِعْرَابِ إعْرَابِي

قد يَحْجُزُ الدَّهْرُ ما بَيْنِي وبَيْنَكُمُ   مُذْ ساعَةٍ فأَرَاهَا مُنْذُ أَحْقَابِ

وطالَمَا صِرْتُ في وَجْهٍ فَلَمْ أَرَنِي   إلّا وقد عَلِقَتْ يُمْنَايَ بالبابِ

ياراقِدِي اللَّيْلِ مُنْجَابًا ظَلامُهُمُ   ظَلَامُ لَيْلِيَ هٰذا غَيْرُ مُنْجَابِ

نادَمْتُكُمْ مِنْ مَكانِي واصْطَحَبْتُكُمُ   وإنْ أَكُنْ مُسْتَقِلًّا بَيْنَ أَصْحَابِي

كأنَّ مُعْطِي الهَوَى لَمْ يُبْقِ باقِيَةً   من الهَوَى لِلداتي أو لِأَتْرَابِي

ما ضَرَّنِي مَظْهَرِي فيكُمْ بِلا رُتَبٍ   ولا نُهُوضٌ بأَنْبَازٍ وأَلْقَابِ

ما أَنْصَفَ الحُبَّ لا تُحْصَى شَوَاهِدُهُ   مَنْ شَكَّ أَنَّكُمُ في اللهِ أَحْبَابِي

سوانح فى الحبّ والحكمة :

هو عنوانُ ديوانٍ صغيرٍ له اشتملَ على هذه المقطوعةِ وبعض المقطّعات التى تليها فى هذا الباب

لِمْ لاَ أَكُونُ عَلَى نَأْيِى بِحَيْثُ هُمُ ... وَيقْظَةُ العَيْنِ فِيهِمْ كُلُّها حُلُمُ ؟
تَجْرِى خَوَاطِرُنَا العَجْلَى فتُدْرِكُهُمْ ... إِذْ لَيْسَ تَجْرِى لنَا فِى إِثْرِهِمْ قَدَمُ
هُمُ يحُثُّونَ أَفْكارِى إِذَا وَنِيَتْ ... وُيقْدِمُونَ إِذَا لَمْ تُقْدِمِ الهِمَمُ
هِىَ الْمَحَبَّةُ أُلْهِمْنَا إِذَاعَتَهَا ... وطاوَعَتْنَا عَلَى إِفْشَائِهَا الكَلِمُ
بُحْ بالْهَوَى مِثْلَنَا إِنْ كُنْتَ كاتِمَه ... فَطَالمَا قَتَلَ العُشّاقَ مَا كَتَمُوا
جاءَتْ إِشَارَةُ مَنْ أَهْوَاهُ فامْتَثَلَتْ ... يَدِى وَدَانَ لهَا القِرْطاسُ والقَلَمُ
دَعَوْتُ آبِدَةَ الْأَشْعَارِ فابْتَدَرَتْ ... ومَا تَلَكَّأَتِ الأَمْثَالُ والحِكَمُ
وَافَتْ عَجائِبُ أَجْيَالٍ وأَعْجَبُها ... — إِذَا تأَمَّلتَ — جيلٌ عُرْبُهُ عَجَمُ
كَانَ الفسادُ مِنَ الحُكّامِ فاصْطَلَحَتْ ... عَلَى مَفاسِدِها الحُكَّامُ والأُمَمُ

أعياد، وأفراح:

من وحيِ عيد الأضحى سنة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م وقد نشرتها الصحف العراقية

عدُّوا عَن العِيدِ لَسْتُ اليومَ بالصَّاحِي ... مَوَاسِمُ القُرْبِ أَعْيَادِي وأَفْرَاحِي
يَرْتَاحُ لِلعِيد مَنْ يَلْقَى أَحِبَّتَــهُ ... ولَيْسَ مَنْ حُرِمَ اللُّقْيا بِمُرْتَاحِ
لاَ تَمْـلأُوا لِيَ أَقْدَاحًا فَقَدْ مَلأَتْ ... إِلَى الرُّءوسِ سُقَاةُ الحُبِّ أَقدَاحِي
أَوْلَى الخُمَارَيْنِ بِي مَا كَانَ مُنْبَعِثًا ... عَنْ نَشْوَةِ الشَّوْقِ لاَ عَنْ سَوْرَةِ الرَّاحِ
ولاَ تَفُضُّوا عِيَابَ الطِّيبِ فَائِحَةً ... إِنِّي غَنِيتُ بِنَشْرٍ مِنْــهُ فَيَّاحِ
يَجْنُونَ تُفَّاحَ هٰذا العِيدِ فَاكِهَةً ... لِمْ لاَ جَنَى القَوْمُ مِنْ خَدَّيْهِ تُفَّاحِي ؟
هٰذِي النُّجُومُ مَصابِيحٌ قد اتَّقَدَتْ ... لَمْ يَتَّقِدْ بَيْنَها يَا لَيْلُ مِصْبَاحِي
أُمْسِي وأُصْبِحُ فالآلامُ حَاشِدَةٌ ... إِمْسائِيَ الآنَ والآمَالُ إِصْبَاحِي
جَرَى عَلَى اللَّوْحِ بالبَلْوَى لَنا قَلَمٌ ... واشِقْوَتِي بَيْنَ أَقْلاَمٍ وأَلْوَاحِ
تَمْحُو وتُثْبِتُ أَفكارًا لَنَا سَخُفَتْ ... ومَا لِما تُثْبِتُ الأَقْدَارُ مِنْ مَاحِي
قَالَتْ: نُرِيدُ لَكَ الإِصْلاَحَ عَاذِلَةٌ ... لَمْ تَدْرِ أَنَّ فَسادَ الحُبِّ إِصْلاَحِي
أَحْبَبْتُ حَتَّى لُحَاتِي فِيكَ يا قَمَرًا ... لَوْلاَ مَحَبَّتُه لَمْ يَلْحَنِي اللاَّحِي

أَحْبَبْتُ حَتَّى جَفا أَهْلِي وما صَبَرُوا كَمَا صَبَرْتُ وحَتَّى غَشَّ نُصَّاحِي
لَمْ تَهْوَ طائِفَةٌ أَبْدَانُها اتَّصَلَتْ إِنَّ الهَوَى صِلَةٌ مَا بَيْنَ أَرْوَاحِ
قَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ هَوَانَا كُلُّ ساجِعَةٍ حتَّى الحَمَامَةُ باتَتْ ذَاتَ إِفْصاحِ
كَفَتْكَ عَنْ وَصْفِ حَالِي نَظْرَةٌ عَرَضَتْ كَمْ لَحْظَةٍ أَجْزَأَتْ عَنْ شَرْحِ شُرَّاحِ

ذكريات الماضى :

هَلْ أنتَ يا باعِثَ الإِعْرَاضِ والمَلَلِ ... مِنْ هُوَّةِ البَيْنِ مُنْتَاشِي ومُنْتَشِلِي ؟

إِنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ الأيَّامِ مُنْقَلَبِي ... عَنْ مِصْرِكُمْ فتَمَنَّى العَوْدِ مِنْ قِبَلِي

لَيْتَ الّذِي دَاوَلَ الأيَّامَ بادَلَنَا ... أيَّامَنَا بلَيَالِي لَهْوِنا الأُوَلِ

كانَ الزَّمَانُ الّذى وَلَّى بشِرَّتِنَا ... ظِلاًّ ، وأيَّةُ ظِلٍّ غيرُ مُنْتَقِلِ ؟

وكانَ مُخْتَلِسُ اللَّذَّاتِ يَقطَعُهَا ... مَرًّا إِلَى اللّهْوِ مَرَّ الطَّيْفِ فِي المُقَلِ

هَلْ سَاعَةٌ أَنا فِي أثْناءِ كَرَّتِها ... خالٍ مِنَ الدَّاءِ ، أَوْعَارٍ مِنَ العِلَلِ ؟

كأَنَّنِى لُقْمَةٌ لِلدَّهْرِ سائِغَةٌ ... أَوْ مُضْغَةٌ بلَهاةِ الحَادِثِ الجَلَلِ

مُوَلَّهٌ مَنْ رَآنِي ظَنَّ بِي وَرَهًا ... أَوْ أَنَّ شَيْخًا مِنَ العُمَّارِ مُخْتَبِلِي

مَالِي تَخَرَّقْتُ بطنَ الأرْضِ مُرْتَحِلاً ... لِطِيَّتِي ، أَوْ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ ؟

طَوْرًا أَرَانِيَ مِنْ نَجْدٍ عَلَى كَثَبٍ ... وتارَةً أَنا فِي « حُلْوَانَ » والجَبَلِ

تَرَكْتُكُمْ غيرَ مُشْتَاقٍ إِلَى بَدَلٍ ... يا تارِكِيَّ وما اشْتَاقُوا إِلى بَدَلِ

البَيْنُ مُورِثُ صَدْعٍ غيرِ مُلْتَئِمٍ ... صَدْعَ الزُّجاجِ — وجُرْحٍ غيرِ مُنْدَمِلِ

سوانح فى الحب والحكمة :

ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

كانَ الهَوى بيننَا سِرًّا ولَمْ نَكُنِ ... فى عالَمِ الرُّوحِ لا فى عالَمِ البَدَنِ
كم التّكلُّفُ للأسرارِ نكتُمُها ... سِرُّ المَحبَّةِ مُنْجرٌّ إلى العَلَنِ
إنَّ الهَوى أُلفةٌ ما بيْنَنا حَسُنَتْ ... يا واحِدَ النّاسِ فى تأليفِهِ الحَسَنِ
يُطالِبون بأنْ أسْلُو أما عَلِموا ... أنِّى بِما طَلَبوهُ ضَيِّقُ العَطَنِ ؟
قالوا : اتَّخِذْ وَطَنًا ، هَبْنِى أُطِعْهُمُ ... فالرُّوحُ عندكُمُ والجِسْمُ فى الوَطَنِ
واصِلْ إذا شِئْتَ مَنْ أرْخَصْتَ أدْمُعَه ... ليَشْتَرِى الوَصْلَ بالغالى مِن الثَّمَنِ
عنكُمْ تُفَتِّشُ عَيْنِى يا أحِبَّتَها ... لمَّا وَعَتْ طَرَفًا مِنْ ذِكْرِكُمْ أُذُنِى
ناءٍ عَن العَيْنِ أهْواهُ ولَمْ أرَهُ ... مِنْ أجْلِ ذٰلِكَ يَهْوانِى ولَمْ يَرَنِى

***

مَا مِنْ بَصِيرٍ بحقِّ الشِّعْرِ يحفَظُه ... كُنْ شاعِرَ الوَقْتِ ، أو كُنْ شاعِرَ الزَّمَنِ
زِنْ قبلَ لَفْظِكَ مَعْنَى البَيْتِ تُنْشِئُه ... فرُبَّ بَيْتٍ بمَعْنًى غيرِ مُتَّزِنِ
رُكْن الرَّفيع مِن الأبْياتِ قافيَةٌ ... لا شَأْنَ للبَيْتِ تَبْنِيهِ بلا رُكُنِ

سانحة في الحب :

ما لامَنِي لَوْ أَحَسَّ النَّاسُ أو شَعَرُوا أَلَسْتُمُ الحِسَّ سَمْعِي منه والبَصَرُ ؟
كَانَ الهَوى بَيْنَنَا عَهْدًا وَبَيْنَكُمُ لمَّا تَعَارَفَتِ الأَشْبَاحُ والصُّوَرُ
إِنَّا عَذَرْنَا مِنَ اللُّوَّامِ طائِفَةً خَلِيَّةً لَوْ أَحَبُّوا مِثْلَنَا عَذَروا
لِمْ لا يَرِقُّون بل لِمْ لا تُؤَرِّقُهُمْ مَحَاجِرٌ رَقَّ مِمَّا تَذْرِفُ الحَجَرُ !

***

هَلْ عِنْدَ مَنْ أَسْهَرُوا أَلَّا فَهُمْ خَبَرُ ؟ في اللَّيْلِ طُولٌ وفي أَجْفَانِنا قِصَر
دَجَتْ لَيَالِي مُحِبِّيهِمْ وَآنَسَنِي لَيْلٌ تُضِيءُ حَوَاشِيهِ إذا ذُكِروا
يَوْمِي أَصِيلٌ إذا وافَتْ بَشَائِرُهُمْ ولَيْلَتِي كُلُّها مِنْ رِقَّةٍ سَحَرُ
طَيْفُ الكَرَى أَثَرٌ مِنهمْ قَنِعْتُ به يَكْفِي مِنَ العَيْنِ — إنْ لَمْ تُوجَدِ — الأَثَرُ
هذا نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيا خُصِصْتُ به أَمْ صُدْفَةُ الدَّهْرِ ، أم هٰذا هو القَدَرُ ؟

***

لِلّهِ عُصْبَتُكَ العُشَّاقُ كَمْ جَزِعوا مِمَّا لَقِيتَ فما أَغْنَوْا وكَمْ صَبَرُوا
تَحَمَّلُوا مِن عَناءٍ فَوْقَ طاقَتِهِمْ فَفَارَقُوا النَّاسَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ
بِتْنا نُؤَمِّلُهُمْ مِنْ بَعْدِ ما وَرَدوا أن يَصْدُروا بِأَمانِيهِمْ فما صَدَروا
طَلْ ما تَشَاءُ زَمانِي لَسْتَ لِي عُمُرًا إِدْرَاكُ ما أَتَمَنَّاهُ هُوَ العُمُرُ
إذا زَكا بَيْنَ أَخْلاقِ امْرِئٍ خُلُقٌ عالِي المَحَلِّ زَكَتْ أَخْلاقُهُ الأُخَرُ

سوانح فى الحب :

عَــدَّها لِلصَّحاةِ باللهِ عَنِّى ... أىُّ شىءٍ أبْقَتْ لتأْخُــذَ مِنِّى ؟
كيف يَصْحُو وقَدْ أعانَ عَلَيْه ... حامِلُ الكَأْسِ فى الهَوَى، والمُغَنِّى ؟
هَىَّ يا مُترِعَ الأَغانِى أَدِرْ لِى ... إنَّنى قَدْ سَكِرْتُ لٰكِنْ بأُذْنِى
سُؤْرُ عَيْنَيْكَ باعِثٌ نَشْوَاتِى ... ـإِى وعَيْنَيْكَ ـ لَمْ يَكُنْ سُؤْرَ دَنِّ
لَمْ تَجِئْ آفَةُ القَطِيعَةِ إلَّا ... مِنْ تَجَنِّيكَ يا كَثِيرَ التَّجَنِّى
لِى ظَنٌّ — وإنْ أَسَأْتَ — جَميلٌ ... بِكَ يا قَاطِعِى ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّى
مامَلَكْتُ الّذى هَوِيتُ ولٰكِنْ ... قَدْ تَمَنَّيْتُ لَوْ أفادَ التَّمَنِّى

الهوى لا شكّ فيه :

إذا الشَّكُّ اعْتَرَاكِ بكلِّ شَىْءٍ ... ورَابَكِ فى الوُجودِ وساكِنِيهِ
ثِقِى بِهَوًى تَبَوَّأَ مِنْ فؤَادِى ... مَكَانًا لا يَلِيقُ الشَّكُّ فيهِ

تَذَكَّروا أنَا عطاشَى :

نشرت سنة ١٣٣١هـ = ١٩١٢م فى العدد ١٥ من السـنة الخامسة من جريدة البرق البيروتية .

يَا مُعْرِضًا عَنِّى أشـــا ح بوَجْهِهِ حاشاكَ حَاشا
زُرْت الْعُيُونَ لِأَنَّنى مَهَّدْتُ أهْـــدَابى فِرَاشاَ
يَا طَيْفُ زَوِّدْنِى الْهَوَى ما شِئْتَ مِنْ كَلَفٍ وماشاَ
أَتَرَى يعُودُ تَرَاهُ لِى حُلُمٌ لسَاعَتِهِ تَلَاشَى ؟
بَادَتْ حَيَاتُكَ فِى الْأمَا لِى غيرَ أنَّ الحُبَّ عَاشاَ
مَا هٰـــذِهِ الْأَرْواحُ فِى الْـ آفاقِ تَنْتَعِشُ انْتِعَاشاَ ؟
وكَأَنَّهــــــا لمَّا رَأَتْ نَارَ الْهَوَى حَامَت فَرَاشاَ
يَا وارِدِى مَاءَ الحَيَا ةِ تَذَكَّـــرُوا أَنَّا عَطاشَى

الحب والشكوى :

نشرت سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٣م فى العدد ٢٨٤ من السنة السادسة من جريدة البرق البيروتية .

مَنِ الْعَاكِفُ الثَّاوِى عَلَى الرَّبْعِ قَدْ أَقْوَى   تَكَلَّفَ شَكْوَاهُ عَسَى تَنفَعُ الشَّكْوَى
وَآهِــلَةٌ مِمَّنْ يُحِبّ اسْتَبَانَهَا   فَأَعْيَتْ كَمَا لَوْ كَانَ آهِلُهَا خِلْوَا
تَعَامَتْ عَلَى الْمُسْتَشْعِرِ الْيَأْسِ عِنْدَهَا   فَأَيْقَنَ لٰكِنْ ظَلَّ يَنْشُدُهَا سَهْوَا
أَحِبَّتَنَــا إِنَّ الْمَحَبَّــةَ فِيكُمُ   ـعَلَى كَثْرَةِ الْعُشَّاقِ ـ أَكْثَرُهَا دَعْوَى
وَلَوْ أَدْرَكُوا الْحُبَّ ابْتُلُوا غَيْرَ أَنَّهُمْ   أَحَبُّوا ـ كَمَا شَاءُوا ـ السَّلَامَةَ لَا الْبَلْوَى
وَأَشْقَى الْهَوَى مَا كَانَ غَايَةَ أَهْلِهِ   وَعُقْبَاهُمُ مِنْــهُ الْخَلَاعَةَ وَاللَّهْوَا
إِذَا نَحْنُ وَازَنَّا الْهَوَى وَنُفُوسَنَا   وَمَقْصِدَهَا مِنْهُ عَرَفْنَا الَّذِى نَهْوَى

***

وَظَمْآنَ مِمَّــا أَسْأَرَ الْهَمُّ شُرْبُهُ ،   قَذًى زَعَمُوا أَن سَوْفَ يَشْرَبُهُ صَفْوَا
لَهُ زَفَرَاتٌ فِى الضَّــمِيرِ لَوَ أَنَّهُ   يُصَعِّدُهَا فِى الْجَوِّ أَزْعَجَتِ الْجَوَّا
أَصَابَ سَبِيلَ الْمَجْـدِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ   عَنِ الْمَجْدِ لَا يَجْرِى لَهُ فَحَبَا حَبْوَا
جَنَى كَسَلًا ثُمَّ اسْتَحَثَّ قَصَائِدًا   إِلَى الدَّهْرِ لَا صَفْحًا جَلَبْنَ وَلَا عَفْوَا

أتُوسِعُهُ عَتْبَــا وتأمُلُ أنّهُ سَيُجْدِيكَ بعْدَ اللَّتِي مَا أغْمَضَ الجَدْوَى؟
وأضْعَفُ خَلقِ اللهِ عَزْمًا مُعَاتِبٌ زَمَانًا بِهِ يَسْتَدْرِجُ الأضْعَفَ الأقْوَى

* * *

إلى مَ اهْتِمَامِي بالحَيَــاةِ ، وإنَّهَا بِسَاطٌ مِنَ الأيَّامِ سُرْعَانَ مَا يُطْوَى ؟
نَجِدُّ ونَحْكِي أنَّهَــا غَيْرُ غَايَةٍ فَكَيْفَ بِنَا لَوْ كانَتِ الغَايَةَ القُصْوَى ؟
فُتُوقٌ مِنَ الأحْدَاثِ جَدَّ اتِّسَاعُهَا عَلَيَّ ، لَعَــلِّي أسْتَطِيعُ لَهَا رَفْوَا
غَمَزْنَ مَجَسَّ العُودِ مِنِّيَ فالْتَوَى عَلَى أنّهُ صَعْبُ المَغَامِزِ لاَ يُلْوَى
كَرًى بَعْدَهُ مَا كُنْتُ أرْجُو انْتِبَاهَةً وسَكْرَةُ لَهْوٍ مَا انْتَظَرْتُ لَهَا صَحْوَا
وأمْرٌ أرَجِّيــهِ ، فَفَاتَ ، وآخَرٌ تَعَمَّدْتُ تَرْكِيــهِ فَفَاجَأنِي عَفْوَا
إذَا فَاتَنِي إدْرَاكُ مَا صَرَّحَتْ بِهِ فُنُونُ اللَّيَالِي إنَّنِي مُدْرِكُ الفَحْوَى

الطيف :

إنْ تَكُنْ مِثلَ ما توَهّمتُ فِكْرا   زَائِري مَرّةً فزُرْنِيَ اخْرَى
يَا خَيَالًا حَلَا ولَمْ يكُ إلاَّ   قبْسَةَ العَاجِلِ أسْتَقَامَ ومَرّا
اِطْوِ سِرِّي الّذي نَشَرْتُ فإنّي   مِنْكَ طَاوٍ فِي مُهْجَةِ اللّيْلِ سِرّا
حُلُمٌ خَادِعٌ تلاشَى وَأبقَى   لوْعَةً وانقَضَى وخَلّفَ ذِكْرَى
قَدْ دَنَا سَاعَةً لِيَنْأى زَمانًا   ووَفَى لَيْلَةً لِيَمْطُلَ عَشْرًا
لا تخَلْهَا تُعطِي الكَرَى كلَّ آنٍ   مُقْلَتِي فيكَ وانْتَظِرْها لِتَكْرَى

بدائع الخيال:

مما اتفق له سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١ م

يُملِي بَدائِعَه الخَيالُ فأُنْشِدُ ... وأغُورُ فى طُرُقِ البيانِ ، وأُنْجِدُ
ما جَوَّدَ الشُّعَراءُ قَطُّ وإنّما ... أثَرُ المَحبَّةِ فى السَّرائرِ جيِّدُ
لولا انْفِرادُ أحبَّتى بخِصالِهِمْ ... ما سارَ لى فى الدَّهْرِ بيْتٌ مُفْرَدُ
فإذا نَظَمْتُ لهمْ فإنِّىَ (مُسْلِمٌ)(١) ... وإذا شَدَوْتُ بِهِمْ فإنِّىَ (مَعْبَدُ)(٢)
يَتجَسَّدُ (الطائىُّ) بى وقَرِيضُهُ ... (والبُحْتُرِىُّ)،منَ الفُحولِ،(وأَحمَدُ)
غِبْنا فلَمْ نَرَ فى الوجودِ سِوَاهُمُ ... هٰذاالمَغيبُ ـ أجلْ ـ فكَيْفَ المَشهَدُ ؟
أنّى قَصَدْتُ ، أو اتّجَهْتُ فأَنتمُ ... غَرَضُ الوَقيذِ(٣) بحُبِّكُمْ والمَقصِدُ
كَفَتِ الإرَادَةُ ـ لاالتَّرَدُّدُ ـ أهْلَها ... يُعْطَى المُرِيدُ ، ويُحْرَمُ المُتَرَدِّدُ

(١) مسلم ، هو مسلم بن الوليد الشاعر البليغ المشهور
(٢) معبد : من أشهر المغنّين (٣) الوقيذ : المشرف على الموت

لولا الهوى:

نشرت سـنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م فى العدد ١٥٩ من السنة الرابعة من جريدة البرق البيروتية

شَجَرُ الأَراكِ فتَنْتَهُنَ أَرَاكَا ... حتّى أُنبرَيْنَ مِن النُّحُولِ سِوَاكَا
قطّعْتَها ـ ما كانَ أَسْعَدَ جَدَّها ـ ! ... قِطَعًا وَرَدْنَ مُقَبِّلاتٍ فاكا
ما هٰذه الأشْجانُ يا رَشَأَ الحِمَى ... لولا هَواكَ ؟ وما الهَوَى لَوْلاكا ؟
يا سالِباً بالرَّغمِ لُبَّ مُحِبِّه ... لو كُنْتَ تَطْلُبُه دَعَوْتُكَ هاكا
فَتَّشْتُ عن شَيْءٍ أُحِبُّ بَقاءَه ... ويُحِبُّ أَنْ أَفْنَى فكان هَواكا
وطَلَبْتُ شَفّافَ الخدودِ وقَلْبُه ... قَلْبُ الصَّفاةِ فما وجَدْتُ سِوَاكا
ووَدِدْتُ أَنْ أَهْوَى ولكنْ لَمْ أَجِدْ ... رَشَأً يَطِيبُ به الهَوَى إلّاكا
سَلَّمْتُ نَفسِى إن أَرَدْتَ مَنِيَّتى ... أو مُنْيَتى ، فإلى أخْتِيارِكَ ذاكا
أَتَظُنُّ أَنِّى فى إِسارِكَ ناقِمٌ ؟ ... أنا ما شَهِدْتُكَ لا أُرِيدُ فَكاكا
مالى وَجَدْتُكَ لا وَجَدْتُكَ سَاخِطاً ... زِدْنِى جَوًى إن كان فيهِ رِضاكا
عاهَدْتُ أَحْتَمِلُ العَذابَ فَخانَنى ... قَلْبٌ دَرَى أَنَّ العَذابَ جَفاكا

هي الأحلام :

نشرت سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م في العدد ٢٨٧ من جريدة البرق البيروتية

هَلُمَّ لِنَصْطلِحْ يا دَهْرُ حَسْبِي   وحَسْبُكَ ، لَمْ نَزَلْ مُتَشَا نِئَيْنِ
أَأَبْذلُ ماءَ وَجْهِي فيكَ ؟ كَلَّا   سأَمْلِكهُ وأَمْلِكُ ماءَ عَيْنِي
إذا أَدَّاينْتُ مِنْ زَمَني هَناء   تَعَجَّلَني الزَّمانُ وَفاءَ دَيْنِي
لِأَمْرٍ ثَمَّ جَرَّدَنِي سلاحِي   وَقَلَّدَه كَلِيلَ المَضْرِبَيْنِ
يَمِينًا إِنَّها ظُبَةٌ رَمَتْها   يَمِينُ مُناجِزٍ لِيَمِينِ قَيْنِ

***

وكُنْتُ أَنوءُ مِنْ نَبَواتِ دَهْرِي   بِواحِدَةٍ فكَلَّفَ بِاثْنَتَيْنِ
يُقَرِّبُنِي إِلى مَن لَسْتُ أَهْوَى   ويُبْعِدُ بين مَنْ أَهْوَى وبَيْنِي
حَمَلْتُ الهَمَّ يُجْهِدُ مَتْنَ رَضْوَى   ويَبْهَظُ حَمْلُهُ جَبَلَيْ حُنَيْنِ
وسَوْفَ أُصابِرُ الأَهوالَ إلّا   تَمادِيَ جَفْوَةٍ وعُكوفَ بَيْنِ
حَبِيبَتَنا أَتَحْمِلُنا اللَّيالِي   على أَلَّا أَراكِ ولَنْ تَرَيْنِي ؟
أَرَى دَرْكَ اقْتِرابِكِ غَيْرَ سَهْلٍ   وأَسْهَلُ منه دَرْكُ النَّيِّرَيْنِ

***

وَجَدْتُ المَوْتَ هَيْناً غيرَ صَعْبٍ لأنَّ العَيْشَ صَعْبٌ غيرُ هَيْنِ
لَعَلَّ أمانِيًا رانَتْ حَياتِي لها ، تأتى فتَجْلُو بَعْضَ رَيْني
أمانٍ إن ظَفِرْتُ بِهِنَّ أحْيَا كما أهْوَى ، وإلّا حان حَيْني
هيَ الأحلامُ مالِئةٌ فؤادِي وأحْسَبُهُنَّ مِلْءَ الخافِقَيْنِ

***

مَتَى زَحَمَتْ عَوادِي الدَّهْرِ رُكْنِي وألْفَتْنِي مَهِيضَ الجانِبَيْنِ
بَسَطْتُ إلى مَليكِ الشِّعْرِ كَفِّي فَرَدَّ الهَمَّ مُنْقَبِضَ اليَدَيْنِ
طَرَدْتُ وَسَاوِسِي بِمُقَطَّعاتٍ جَلَوْتُ بها سَبائِكَ مِنْ لُجَيْنِ
إذا جَرَّبْتُ أنْ أقْتادَ بَيْتًا فأَسْلَسَ لى ، طَمِعْتُ بآخَرَيْنِ
ويُنْشِدُنى الهَزارُ الشِّعْرَ عَفْوًا فأُنْشِدُهُ تَعاطِيَ شاعِرَيْنِ

حديث القمر :

اتفقت سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢م وقد نشرت فى العدد ١٨٨ من السنة الرابعة من جريدة البرق البيروتية .

لقد أشرقَتْ جُمَلُ الكائناتِ لعَيْنِيَ غرْقَى بنُـــورِ القمرْ
وأسهرَنَا الشُّهُبُ الحاكِياتُ عُيونًا يُشـــارِكْنَنا فى السَّهرْ
وَنَفَّذْتُ فى القَلْبِ حُكْمَ الهوَى ومن يَسْتَهِينُ بحُكْمِ القَدَرْ ؟
فإنِّى رَضِيتُ ، قَسَـــا أوْ رَعَى وإنِّى أطَعْتُ ، نَهَى أو أمَرْ
وخَـــيْرًا من الجزَعِ المُسْتَمِرِّ أرَى الصَّبْرَ ، عُقْبَى الصَّبُورِ الظَّفَرْ
ولو لم تَكُنْ رُوحُ هٰذا الوُجودِ جَمالا مَلَلْتُ جَمالَ الصُّـــوَرْ
وَمثَّلَ كيف انْكِدارُ الحَيــاةِ شِهابٌ بأعْلَى السَّماءِ انْكَدَرْ
حَياةٌ حَقيقَتُها كالخَيـــالِ لِقَوْمٍ عِيانُهُمُ كالخَـــبَرْ
كأنَّ الكَواكِبَ منقَضَّـــةً صَوالِجُ تَقْذِفُنا بالأكَرْ
وأشرقْتَ يا بَدْرُ — فِعْلَ الرَّقيبِ — علَيْنا ، لقد جئْتَ إحْدَى الكُبَرْ
أمَا يَسْتَلِينُكَ مَرْأى الغَـــرامِ فتَهْوَى ، وأنَّى يَلينُ الحَجَرْ ؟
وتزْعُمُ أنَّكَ أنتَ اسْـــتَرَقْتَ حَديثًا وَراءَ القُلوبِ اسْـــتَتَرْ

فلا تَستخِفّ بنجْوَى اللِّسانِ   فمِنْ فوْقِ ذٰلِكَ نَجْوَى النَّظَرْ
وَرُحْتَ تُفَسِّرُ وَحْيَ الشِّفاهِ   ففَسِّرْ لنا الغامِضاتِ الأُخَرْ

***

ولمّا أنقضَتْ جَلْبَةُ العابِرِينَ   وطالَ الحَديثُ ، فطابَ السَّمَرْ
سَمِعْنا عَزِيفَ هُبوبِ الرِّياحِ   لنا وحَفيفَ غُصونِ الشَّجَرْ
وحارَ ، أَرُوحًا سَماوِيّةً   يُشاهِدُ ؟ أَمْ مَلَكًا ؟ أَمْ بَشَرْ ؟
وجاءت تُنَافِسُ بَدْرَ السَّماءِ   بثانِيهِ فى العَيْنِ أَو فِى الاثَرْ
مُحَيًّا يَلوحُ صَقيلَ الأَدِيمِ   كما طبِعَ المَشْرَفِىُّ الذَّكَرْ
إذا النُّورُ وَاجَهَ بِلَّوْرَه   تَحَيَّرَ فى جِرْمِهِ فانْكَسَرْ
وَأَرْسَلتِ الأَرْبَعَ الحالِكاتِ   فَطَوَّلْنَ مافى الدُّجى مِنْ قِصَرْ
وَأَسْوَدَ من شَعْرِها ، لو تَشاءُ   نَفَضْتُ عليهِ سَوادَ البَصَرْ
فما شَوَّشَتْه يَدًا عابِثٍ   — وحاشاه — إلا نَسيمُ السَّحَرْ
ويُورِثُه سَيَلانُ الشُّعاعِ   عليه أعاجِيبَ تُعْيِي الفِكَرْ
مَعانٍ تَجوسُ خِلالَ العِقاصِ   وشِعْرٌ يَجِىءُ بطَىِّ الشَّعَرْ
وما عَتَمَ اللَّيْلُ حتّى انْجَلَى   ولاحَ جَبِينُ الصَّباحِ الأَغَرّ
فَقَبلَ آخِذَةً حِذْرَها   وكان كذٰلِكَ نَيْلُ الوَطَرْ
وأَثْلَجُ ما بَلَّ قَلْبَ المَشُوقِ   على حَرِّهِ قُبُلاتُ الحَذَرْ

نشوة الحب :

اتفقت سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م وقد نشرت فى العدد ٢٧٤ من السنة السادسة من جريدة البرق البيروتية .

سَقَوْه ثمّ قالوا : هل يُفيقُ ؟ أَجَلْ ، لو كان غيْرَكم الرَّحيق
أَجَلْ ، لقد اصطَبَحْتُ وكيف أصحو وذِكرُكم صَبوحِي وَالغَبُوقُ ؟
لقد يَشتاقُكُمْ غيْرِي ويَسْلو فهل أَسْلوكُمُ وأنا المَشُوقُ ؟
كَفاكُمْ أنكمْ حَمَّلتُمونى جفَاً ، وجفاكُمُ مالا أُطِيقُ
إذا كُنتُ ابْنَ وُدِّكُمُ فإنِّى أَدِينُ بأَنَّ مَقْتَكُمُ عُقوقُ
وأَنَّ شَقِيَّ بينِكُمُ سَعيدٌ وأَنّ أَسِيرَ حُبِّكُمُ طَليقُ
عُروقٌ للمحَبَّةِ واشِجاتٌ على كَبِدى كما تَشِجُ العُرُوقُ
أَسُكّانَ الأَعِقَّةِ إنَّ عَيْنِي لكمْ مِنْ سَفْحِ أَدْمُعِها عَقيقُ
سَلُوا البرْقَ الخَفُوقَ أَ كانَ قَلْبِي يُناظِرُه فيلْزَمُهُ الخُفوقُ ؟
فإمّا المَوْتُ بَعْدَكُمُ وإمّا حَياةٌ لا تَطِيبُ ولا تَرُوقُ

***

حَياةٌ قد تَقَلَّصَتِ انتِهاءً كما يَتَقَلَّصُ الظِّلُّ الرَّقِيقُ

طَواها المَوْتُ وهىَ عَمِيقُ سِرٍّ   إلى حيث أنْجَلى السِّرُّ ٱلعَميقُ
مَشَتْ بى فى الطَّريقِ ومُذْ دَنتْ بِى   مِن الأَبَدِيَّةِ أنْتَهت الطَّريقُ
رَفيقاَ دُلجَــــةٍ سِرْنا ولمّا   تَراءى القَصْدُ قاطَعَنى الرَّفيقُ
فيا بَيْتَ الرَّدَى لا بُدَّ أَنّا   نَحُجُّكَ أَيُّها البَيْتُ الْعَتيقُ
فَتَجْحَظُ مُقْلَةٌ ويَغُورُ صُدْغٌ   وَتَنْدى جَبْهَةٌ وَيَجِفُّ رِيقُ
وَرُبَّ حَيــاةِ قَوْمٍ فاجَأَتْها   مَنِيَّتُهُمْ وعُجِّــلَ ما أُذِيقوا
كما طلبَتْ يَدٌ تَسْديدَ سَهْمٍ   فعاجَلَه عن القَوْسِ المُرُوقُ
وليس تَدُومُ فى الحالاتِ حالٌ   كذا الدُّنْيا غُروبٌ أَو شُروقُ
فبَعْدَ الضِّيق يُنْتَظَرُ انْفِرَاجٌ   وبعد الإِنْفِرَاجِ يَكونُ ضِيقُ

محنة الحب :

ما كفاكُمْ من امتحانِ المُحبِّ ... أنْ تجافَى عن المَضاجِعِ جنْبِي ؟
هل أسالَ البُكاءُ عيْنًا كعَيْنِي ؟ ... أو أذابَ الفِراقُ قلبًا كقلبِي ؟
أعلَى العَيْنِ هٰذه فرْضُ عيْنٍ ... حِينَ يدْعو داعِي البُكا أنْ تُلبِّي ؟
أنا ربَّيتُ ناشِئًا مِنْ هَواكُمْ ... لا تُضِيعوا باللهِ أجْرَ المُربِّي
سوْفَ أقضِي مِن الصَّبابةِ حَقِّي ... حِينَ أقضِي من الصَّبابةِ نَحْبِي
بَغَّضَ الحُبُّ كُلَّ شىْءٍ لِعَيْنِي ... فاسْتَوَى فى المَآلِ بُغْضِي وحبِّي
آيَسُونا مِن اللِّقاءِ وقالوا : ... حَسْبُكَ الطَّيْفُ طارِقًا ، قلتُ : حَسْبِي
أنا مَن سَيَّر الكواكبَ شعراً ... تتوالى بكم فيملأنَ كُتبي
ربّما جاء فى القَريضِ نَبِيٌّ ... هَمُّهُ نسْخُ آيةِ (المتنبِّي)

خيال الصحراء :

اتفقت إثر رحلة صحراوية سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م

حمامة هذا المشرف المتعالي ... خذي العيش رغدا مستريحة بال
جناحك من صنع الربيع ملون ... وصدرك مزدان وجيدك حالي
أعندك علم أن مأواك بانة ... تلاعبها ريحا صبا وشمال ؟
فمالك لا ألقاك إلا طروبة ... ومالي أبكي الدهر زندي مالي ؟
شددت إليك العزم قصدا ولو نأى ... بك البين أشطانا شددت رحالي
أمالك شكوى من عذاب فقد شكت ... إليك ركابي من وجى وكلال
وقفت حيال الدوح منك وللأسى ... طلائع أشجان وقفن حيالي
وشتان ، ما حالي وحالك واحد ... وأين من الضدين وحدة حال ؟
فشملي مصدوع ، وشملك جامع ... وقلبي مشتاق ، وقلبك سالي
أأحبابنا إنا أطلنا انتظارنا ... على طول لي منكم ومطال
رضا بمقامي سلوة وتذكر ... وصبرا لحالي جفوة ووصال
حننت إلى الوادي ولم يك مالكي ... عن الضرب في عرضيه شد عقال
وقد نفر الشوك الكثيف عن الثرى ... عثا كل جني ، أو رءوس سعالي

وما أَرَبى إلّا اُخْـتِرَاقُ فَدَافِدٍ وقَطْعُ سُهولٍ ، واُقْتِحَامُ جِبالِ
وحَيَّرَنِى جِرْمٌ من الصَّخْرِ قائمٌ على نَشَزٍ مِن جَنْدَلٍ وَرِمَالِ
صَفًا ظَهَرَتْ فيه الطَّبيعةُ مَظْهَرًا كما اُقتَرَحتْ مِنْ هَيْبَةٍ وجَـلَالِ
أقامَتْـه مَصْقُولَ الصَّفاةِ كأنّها تُرِيدُ لها فى الأَرْضِ نَحْتَ مِثالِ
جَميلٌ مِن الأيّامِ تَرْكُ صُرُوفِها بقيَّـةَ حُسْنٍ خالدٍ وجَمـال

الهزار الشاعر :

من أوائل شعره ، نشرتها مجلّة العرفان سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م

بِى مِثْلُ مابِكَ أيُّهــا المُتَرَنِّمُ ... زِدْنِى فأنْتَ الشّاعِرُ المُتألِّمُ
ياحائِمًا فَوْقَ الغُصونِ وما دَرَى ... وَقَعَتْ عليهنَّ النُّفوسُ الحُوَّمُ
وَمُتَيَّمًا سَكَنَ الأَرَاكَ مَحَلَّةً ... أنا بالأَرَاكِ وساكِنِيهِ مُتَيَّمُ
أَنعِمْ بِمَرْبَعِكَ الأغَنِّ مَعيشةً ... تَصْحُو فتَصْدَحُ ، أو تنامُ فتَحْلُمُ
ولأنتَ أنْتَ دَفَعْتَنى لهَواجِسٍ ... مَثَّلْنَ أَحْبابى فقلتُ : هُمُ هُمُ
ومِنَ العَجائِبِ أنّ ما تَتْلوه لى ... سُرْعانَ أَفْهَمُ منـه ما لا تَفْهَمُ
أين اسْتَقَلَّ بك الغَرامُ مَحَلَّةً ؟ ... وإخالُ أنّكَ بالطَّبيعـةِ مُغْرَمُ
أتَرَاكَ أُعْطِيتَ الحقيقةَ وانْجلَى ... لكَ مِنْ وراءِ الغَيْبِ سِرٌّ مُبْهَمُ ؟
فرَأَيْتَ مِنْ أسْرَارِها ما لا يرَى ... هٰذا الوَرَى وعَلِمْتَ ما لا يَعْلَمُ
أبْدَعْتَ نظْمَ الشِّعْرِ غيْرَ مُقَيَّدٍ ... بُعْدًا لشِـعْرٍ بالقَوافِى يُلْجَمُ
ونَثَرْتَه هَزَجًا وأَثْقَـلُ شاعِرٍ ... لا يَسْتَجيدُ الشِّعْرَ حتى يُنْظَمُ
ولرُبَّما رَوَتِ الطَّبيعةُ شِعْرَها ... خَرْساءَ لا ثَغْرٌ هُناكَ ، ولا فَمُ

* * *

الشِّعْرُ شيءٌ نَاطِقٌ فِي ذَاتِهِ أو قُوَّةٌ فى نَفْسِهَا تَتَكلَّمُ
صِفَةٌ يَقُومُ بها الفَصِيحُ وَيَسْتَوِى فيها إلى صَفٍّ الفَصِيحِ الأَعْجَمُ
ما حُبُّ أَهْلِ الحُبِّ إِلَّا أَدْمُعٌ حُمْرٌ تَسِيلُ على شِفاهٍ تَبْسِمُ
صَدْرٌ مِنَ الأَحْقادِ ـ وهىَ قَوَاتِلٌ ـ خالٍ ، وقَلْبٌ بالعَواطِفِ مُفْعَمُ
قَوْمٌ إذا نَسَبَ المَحَبَّةَ ناسِبٌ فَلَهُمْ ، وإن طَلَبَ الحَنَانَ فَمِنْهُمُ
لا خير فيمن خَدَّرَتْ شهوَاتُه أَعْضاءهُ فهو الأَصَمُّ الأَبْكَمُ
ماتَتْ مَشاعِرُه فليس بواجِدٍ أَلَمَ الصَّبابةِ والصَّبابةُ تُؤْلِمُ
أين الغَنِىُّ بِشِعْرِه وشُعورِه يَجِدُ الّذِى وجَدَ الفَقِيرُ المُعْدِمُ ؟

الوصفيّاتِ

الفَيَضان :

اتفقت خلال فيضان دجلة سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م الذى أغرقَ شطراً من بغداد

كَفَى يا مَسْقَطَ الوادى أنْدِفاقَا أَلا تَرْعَى الجَزِيرَةَ ، والعِراقَا ؟

طَغَى الوادى كَشَعْبٍ أَحْرَجوه فما احْتَمَلَ الْهَوانَ ، وَلاَ أَطاقا

ولَمَّا قَيَّدُوه لِيَسْتَفِيدُوا أَبَى مِنْ قَيْدِه إلّا انْطِلاقا

بِرَبِّكَ أَيُّهَا الوادِى أَفِدْنا وعَلِّمْ كيفَ نَفْتَكُّ الوَثاقا

أَلَسْنَا أُمَّةً ضَجِرَتْ وَمَلَّتْ مِنَ الباغِين رِقًّا ، لا انْعِتاقا

تَوَخَّيْتَ الْعَمائِرَ باذِخاتٍ وجانَبْتَ الصَّغائِرَ والدِّقاقا

كأَنَّكَ إِذْ تَخَيَّرْتَ المَبانى هَمَمْتَ بِهِنَّ قَصْدا ، لا اتِّفاقا

كَسا الفَيَضانُ أَرْبُعَنا ثِياباً مُصَنْدَلَةً وأَرْدِيَةً رِشاقا

فآوِنَةً مُضاعَفَةً غِلاظاً وآوِنَةً مُهَلْهَلَةً رِقاقا

صَيْداء :

اتفقت خلال إلمامه بمدينة صَيْداء سنة ١٣٣٨هـ — ١٩١٩ م ، وفيها يصف ربيع صَيْداء وشتاءها وسقوط الثلج على أشجار الأثمار الحمضيّة فيها ، ويذكر أصدقاء له فى المدينة المذكورة :

عَرُوسٌ مِنَ الْبُلْدَانِ لَيْسَ لَهَا مَهْرُ ... وَمِصْرٌ سَبَتْنِي لا الصَّعِيدُ وَلاَ مِصْر
وَما هِيَ — لمَّا قَلَّدَتْنِيَ نَعتَهَا ... وَشَاطِئُهَا — إِلَّا القِلادَةُ وَالنَّحْرُ
أَمَا انْتَظمَتْ نَظْمَ القَلائدِ ؟ دُورُها ... لآلِئُ أَصْدَافٍ ، وَحَصْبَاؤُها دُرُّ
وغيرُ كَثيرٍ مِن بَدَائِعِ بَلْدَةٍ ... كَصَيْداءَ أَنْ أُغْرَى بها ، إِنَّهَا سِحْرُ
وَما هيَ إلا الشِّعْرُ صِيغَ مَدِينَةً ... فَأَنَّى يُوَاتِينِى — لِأَنْعَتَهَا — الشِّعْرُ
ذَرُوا مِنَّةَ الأَفْلاَكِ عَنَّا لَقَدْ بَدَتْ ... لنَا الشَّمسُ مِنْ صَيْداءَ وارْتفَعَ البَدْرُ
فهَلْ أَنا فى صَيْداءَ ؟ كَلَّا ، وإنّما ... أُزِيحَ عن الفِرْدَوْسِ لِي ولها سِتْرُ
رَحَلتُ إليها بالصَّبَابةِ إنّها ... مَرَامُ فَتًى مِثْلِي صَباباتُهُ كُثْرُ
عَمَدْتُ إلى كأْسِ السُّلُوِّ فَذُقْتُها ... وكأْسِ الجَوى ، طَعْمانِ أَحْلاهُما المُرُّ
تمَايَلْتُ لا سُكْراً ولكنْ تَعِلَّةً ... لِذِكْراكِ أَوذِكْرَى العراقِ هي السُّكْرُ
وَمُعْتَدِلٌ وِفْقَ المِزاجِ مِزاجُها ... فلا بَرْدُها بَرْدٌ ولا حَرُّها حَرُّ

دُيُونٌ لصَيْدَاءَ عَلَيَّ ضَمانُها ... وَرَهْنُ وَفاها أَنَّنِي رَجُلٌ حُرُّ
أَيادٍ حَميداتٌ أَرَى الشُّكْرَ دُونَها ... ورُبَّ أَيادٍ لا يقومُ بها شُكْرُ
وما رَاقَ مِن صَيْداءَ إلاّ بَشاشةٌ ... وإلاّ ابْتِسامٌ مِثلَ ما ابْتَسمَ الثَّغْرُ
وما أنتِ يا صَيْداءُ إلا مُلاءَةٌ ... مِن الوَرْدِ مَحبوبٌ لرائدكِ النَّشْرُ
جِبالُكِ تَحْناناً عليكِ عَواطِفٌ ... وَمُحْدَوْدِباتٌ مِثْلَ ما احْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تُرَجِّلُ - إنْ هَبَّتْ - غَدائِرَكَ الصَّبا ... ويَغْسِلُ بالأمْواجِ أرْجُلَكِ البَحْرُ
أَبَتْ جُمْلَةُ الأَشْياءِ إلّا لَطافَةً ... بصَيْداءَ حتَّى أنتَ يا أيُّها الصَّخْرُ
وإنْ أَنْسَها لم أَنْسَ منها عَشِيَّةً ... تَساقَطَ فيها الثَّلْجُ وانْبعثَ القُرُّ
فأمْواجُها زُرْقٌ بديعٌ صَفاؤُها ... وأَجْبُلُها بِيضٌ وَأَرْبُعُها خُضْرُ
أَلَمَّ بصَيْداءَ المَشيبُ مُبَكِّرًا ... وأَسْرَعَ فيها وهيَ غانِيَةٌ بِكْرُ
فما زادَها إلّا شَباباً وَفُسْحَةً ... مِن العُمْرِ طالَت كلّما انْكَمَشَ العُمْرُ
أَيا شَجَراتٍ في «كَوانِينَ» أَصْبَحَتْ ... (كَوانِينَ) مُلْقًى في جَوانِبِها جَمْرُ
لقد غُمِرَتْ إلّا بَقايا كأنَّها ... عُيونُ بُزاةٍ دَأْبُها نَظَرٌ شَزْرُ
أَفي شَكلِ مُبْيَضٍّ من الثَّلْجِ انْزلَتْ ... عليكِ من اللهِ النَّزاهَةُ والطُّهْرُ
مَواسِمُ صَيْداءَ من الثَّلْجِ وُضَّحٌ ... وأَيّامُ صَيْداءٍ مُحَجَّلَةٌ غُرُّ
وفي أرضِ بَغْدادٍ هَواءٌ هو المُنَى ... وعَيْشٌ هو السَّلْوَى وماءٌ هو الخَمْرُ
أَأَنسَى زَمانَ الكَرْخِ والكَرْخُ مُعْرِسٌ ... وتَذْهَبُ عن ذِكْرِي الرُّصافَةُ والجِسْرُ؟

وأزعجنى من بلدتى مُزعِجُ القطا | فهل أنت لى صيداء لا بلدى وكر ؟
نعم ، لم يزل يعتادُ قلبى اضطرابُه | كما اضطربت ضمن الشباك القطا الكُدْرُ
لقد أطلقت صيداء طائرَ أيكةٍ | ببغداد أعياه وأرهقه الأسْرُ
غريباً من الأطيار فيها توافرت | خوافيه واشتدت قوادمُه العشرُ
هوى البحثِ أقصانى وما لىَ جانبٌ | — أبى الله — عن زوراء دجلة مُزْوَرُّ
متى خُنتُ بغداداً ، وبغدادُ بلدةٌ | إذا رُمتُ عنها الصبرَ خانَنى الصبرُ؟
أفى طرحىَ الأسفارَ والكُتْبَ جانباً | عذلتم؟ ألا لا تعذلوا ، سفرى سِفرُ
يقولون: هلّا ازددت فضلَ سياحةٍ ؟ | فقلتُ لهم : كلّا ، سياحتىَ الفكرُ
ففى كلِّ حينٍ كِدتُ أوتى حقيقةً | وفى كلِّ آنٍ كان يُكشَفُ لى سِرُّ
ولم أعْىَ بالجُهّالِ يدرُون ما بِهِمْ | ولكن بقومٍ يجهلون ولم يدروا
تنقّلتُ من أرض لأخرى بعيدةٍ | إذا سِرتُ تُطوى لى كأنَّنىَ الخِضْرُ

« تيتنيك » :

نشرتْها له مجلّة لغة العرب البغدادية إثر غرق الباخرة المذكورة ، وذلك سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م

بأبيكِ اقسِمُ يا أبْنَةَ البحْرِ الّذى … وَاراكِ ، كيف رأيتِ فَتْكَ أبيكِ ؟
ما حطّ ثِقْلَكِ فى حَشاهُ نكايةً … لكنّه فَرْطُ احْتِفَالٍ فيكِ
أبْكيتِ أهْلَكِ لا الجزائرَ وَحْدَها … فالعالَمون جميعُهُمْ أهْلوكِ
شَكُّوا يُحيلونَ انطِماسَكِ آيةً … هى تلك مَنْشَأُ حَيْرَةٍ وَشُكوكِ
عَبَرَتْ تَشُقُّ اليمَّ غيْرَ مُطيعةٍ … لإِشارةِ التَّسْكينِ ، وَالتَّحْريكِ
والبَحْرُ ساجٍ ذو سُكونٍ رائعٍ … والشَّمْسُ تحْتَ الأُفْقِ ذاتُ دُلوكِ

***

أمَليكَةَ البحْرِ اسْمَعِى ، لكِ أُسْوَةٌ … فى الأرْضِ ، كم ثُلّتْ عُروشُ مُلوكِ
أنّى يُنَجِّيكِ الحَديدُ ؟ وما نَجَوْا … بأشَدَّ مِنْ فُولاذِكِ المَسْبوكِ
يابابِلَ البحْرِ الخِضَمِّ سَحَرْتِنا … سِحْرًا أرَى هارُوتَ فى « تِيتْنِيكِ »
السِّحْرُ آيتُكِ التى تُوحِينَها … أم أنتِ آيتُه التى يُوحِيكِ ؟
وكأنّكِ القمَرُ الّذى أُلْقِى به … لِيُضيئَنا فَلَكُ السَّماءِ أبوكِ

زَعَمُوا ضَلَلْتِ ، ولو أَرَدْتِ هِدايَةً ... كان (المُحِيطُ) بنَفْسِه هادِيكِ

ولو أنّ مُعجِزَةَ الجَمالِ تَمثّلَتْ ... للنّاسِ قَبْلَكِ صُورَةً ظَنّوكِ

ما كان أَقْصَرَ منكِ عُمْرًا لم يَطُلْ ... لـكن أَطَالَ شَجَى الأُلَى عمروكِ

أَهْلُ الثَّرَاءِ الجَمِّ أَهْلُكِ فى المَلا ... وذَوُو النُّضارِ المُسْتَفِيضِ ذَوُوكِ

ماوَفَّروا سُفُنَ النَّجاةِ كَثِيرةً ... تَـكْفِى الّذِينَ حَمَلْتِ ، أَوْ تَـكْفِيكِ

فذُهِبتِ مِنْ قَوْمٍ حَمَوْكِ وهَدَّمَتْ ... فيكِ اليَدُ الطُّولَى الّتى تَبْنِيكِ

قالوا : انزِلى فالخَطْبُ خَلْفَكِ صاعِدٌ ... وَتَقدَّمِى فالنّائِبــاتُ تَلِيكِ

قَتَلوا بِقَتْلَتِكِ النُّفوسَ فأَيْنَ هُمْ ... لِيَدُوا النُّفوسَ مُضاعَةً ، ويَدُوكِ ؟

سَلِمَتْ نِسَاؤُكِ عن بَوارِ رِجالِها ... ونَجَتْ بناتُكِ فى فَناءِ بَنِيكِ

خيْرُ النَّجاةِ نَجاتُهُنَّ فإِنّهــــا ... بالدَّمْعِ كانت لا الدَّمِ المَسْفوكِ

كالدُّرِّ يَنْتَثِر انتِثارَ فَرائِدٍ ... منها ويَنْتَظِمُ انْتِظَامَ سُلوكِ

* * *

ولَرُبَّ مُنْتَظِرَيْنِ آخِرَ قُبْلَةٍ ... أَذْنَتْ ضَحُوكَةَ مَبْسِمٍ لِضَحوكِ

يَتَشاكَيانِ وإِنّما هى أَلْسُنٌ ... لولا البَلاءُ لأَفْصَحَتْ تَشْكوكِ

أَفِراقُ أُخْتِكَ هَيِّنٌ ؟ فيجيبُهــا ... كَلّا ، يهُونُ إِذَنْ فِراقُ أَخِيكِ

وتَقولُ : تَسْلونى ؟ فيَنْطِقُ دَمْعُه : ... لو كانَ لى قَلبٌ به أَسْلوكِ

يا رُوحِيَ احْتَمِلِى الشَّقاءَ فرُبّما ... يا رُوحُ أَسْعَدَكِ الّذِى يُشْقيكِ

ما آنَ أَنْ تتذَكَّرِى فتَـذكَّرِى ... من لا يَميلُ لِخاطِرٍ يُنْسيكِ
أَمّا (الرَّجا) فلأَزْفِرَنّ على (الرَّجا) ... سَلَكَ القُنُوطُ له أَدَقَّ سُلُوكِ
أَأَنا أَرُوحُ شَرِيكَةً لكَ فى الرَّدَى ؟ ... أَم أَنتَ تَرْجعُ فى الحَياةِ شَريكى ؟
ياوَجْنَةُ اُحْتَرِقى فقد فَتَكَ الثَّرَى ... والمـاءِ بالمـاءِ الّذى يُرْوِيكِ
ولَعَزَّ أَنْ تُدْمِيكِ حُمْرَةُ أَدْمُعى ... مِنْ بَعْدِ حُمْرَتِكِ الّتى تُدْمِيكِ
أَمّا جَنِىُّ الوَرْدِ فيكِ فذَابِلٌ ... إن كان عاشَ جَنِىُّ وَرْدٍ فيكِ

وصف حديقة:

من أوائل شعره ، نشرت فى العدد الأول من السـنة الأولى من صدى البرق البيروتية

ونَاضِرَةٍ خفَّ فيها النَّسِيمْ   نخفَّ إلى قَصْدِهَا مُحْملى
حَدَا بى لهاَ لَغَط العَنْدَلِيب   وجعجعَ بى هَزَجُ البُلْبُلِ
هَوَاءٌ أرَقُّ مِن العاطِفات   وماءٌ أَلَذُّ منَ السَّلْسَلِ
كأنَّ الغُصونَ وقد أَزْهَرتْ   تباشِيرُ عالَمِنا المُقْبلِ
كأنّ الدَّياجى وقد أَدْبَرَتْ   خُرافاتُ عالَمِنا الأوَّلِ
تَذَكَّرْتُ عاطِفةَ المُغْرَمِين   فجاوَرْتُ مُنْعطَفَ الجَدْوَلِ
وآلَمَنِى مُجْتَلى وَرْدَةٍ   تكادُ تُذِيبُ حَشا المُجْتَلى
سَتَقْطِفُها بَعْد إهمالِها   يَدُ المَوْتِ كالوَلَدِ المُهْمَلِ

***

حَسَدْتُ الزُّهُورَ لأنَّ الزُّهُور   كإخْوَانِ جامِعةٍ مُثَّلِ
ويا لِلْمَوَدَّةِ بين الغُصون   إذا ما جَرَى نفَسُ الشَّمْأَلِ
فهٰذَا يَقول لِذَاكَ : اعْتَنِقْ   وتِلكَ تُشِيرُ لِذِى : قَبِّلِى
فيَا لِبَنِى نَوْعِنا الأكْرَمِين   قد افْتَرَقُوا كالمَهَا الجُفَّلِ

يُبيدُ القَوِىُّ حياةَ الضَّعيف ... ويُودِى المُسَلَّحُ بالأعْزَلِ
فَمُرْتَفِعونَ لِأَوْجِ العُــلا ... وهَاوُونَ للدَّرْكِ الأسْفَلِ
وأَجْبَنُ مِنْ صافِرٍ فى الحياة ... وأَضْرَى مِن الأسَدِ الْمُشْبِلِ

* * *

ومُظلمةٍ سادَ فيها السُّــكُونْ ... بلَيْــلٍ بَعيدِ المَدَى أَلْيَــلِ
بَصُرْتُ بِهاَ تحْتَ جنْحِ الظَّلَامْ ... بأَشْـــباحِ ضَامِرَةٍ هُزَّلِ
هَوَتْ بِهِمُ لِمَهَاوِى الشَّقَاء ... يَدُ الزَّمَنِ القُلَّبِ الْحُوَّلِ
فَهُمْ يُنْشِدُونَ نَشِيداً عليه ... مَلَامِحُ حالِهِمُ المُجْمَلِ
فكم نَنْظُرُ النَّاسَ مِنْ تَحْتِهِمْ ... وهُمْ يَنْظرونَ لنا مِنْ عَـلِ

الزهرة الذابلة :

سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٦ م

أَكذا حِينَ يُوافِيها القَضـــاء تَبْخَلُ الأرْضُ عليها والسَّماء ؟
إنّهَا قانِعَةٌ مُغْـــتَرَّةٌ كلُّ ما تَطْلُبه نُورٌ وماء
أَكذا يَنْقَبِضُ الوَجْهُ الَّذى سَطَعَ الإِشْرَاقُ منه والبَهاء ؟
أَكَذا يَنْقَصِفُ القَدُّ الَّذى طُبِعَ اللِّين له والإِسْتِواء ؟
أَكَذا يَسْتَبْسِلُ المَوْتُ عَلَى غيرِ شَىْء ؟ أَكذا يَسْطو الفَناء ؟
هَوَّنَ المَوْتَ علينا أَنّنـــا شَرَعٌ فى مَذْهَبِ المَوْتِ سواء

ليالي دجلة :

وهي من أوائل شعره سنة ١٣٣٠ هـ = ١٩١١ م وقد نشرتها مجلة العرفان

أَحِبَّايَ إِنْ خابَ ظَنِّي بكمْ وَأَدْمَيْتُ فِيكمْ بَنانَ القُنوطِ
وإِنْ أَنسَ لمْ أَنسَ بَدْرَ الدُّجَى ومَنْظَرَه فى مُتُونِ الشُّطوطِ
وليلاً به انْبَسَطَ النُّورُ فى سُطُوحِ المِيَاهِ انبساطَ الخُطُوطِ
وقد زاد مَشْهَدَهُ رَوْنقاً سُكُونُ الفضَا وسُكونُ البَسيطِ
كأنَّ الطّبيعةَ فى غَفْوَةٍ وجَرْى الجَداوِلِ مِثْلُ الغَطيط
رِياضٌ يُضاحِكُنِي ثغْرُها ويفْتَرُّ عَنْ دُرٍّ نَوْرٍ لَقيطِ
فما أَحْسَنَ الضَّوْءَ فى جَوِّها إِذا غزَلَ الفَجْرُ بيضَ الْخُيُوطِ
وشَادِيَةٍ أَخَذَتْ فى الهَوَى بقَلْبٍ إِلى وَفْرَتَيْها مَنُوطِ
خَليلَيَّ هٰذِى دَوَاعِي الجَوَى وعَوْدِ الهَوَى وادِّكارِ الخَليطِ
أَمَا تَنْظرَانِ بُكاءَ الوُرودِ وما دَمْعُها غيرُ طَلٍّ سَقِيطِ؟
فياماءُ إِنْ أَبْحَرَ الجرْىُ فيكَ فسَلِّمْ على مَنْ وراءَ المُحيطِ
وقلْ لهمُ : تركَتْهُ الخُطوبُ خيالَ ضَنًى جانِحًا للسُّقُوطِ

أرى الشَّرْقَ وَالغَرْبَ كالْكِفَّتَيْنِ يَخِرُّ الكَسُولُ إِزَاءَ النَّشِيطِ
إذا ارْتَفَعَتْ كِفَّةٌ مِنْهُما هَوَتْ وَانْثَنَتْ أُخْتُها لِلْهُبُوطِ
سُقِيتِ حَيا الْعِلْمِ يَا أُمَّةً تَمُجُّ . . بَ النَّجِيعِ العَبِيطِ
وأَصْفَاكِ جَدُّكِ دَرَّ الصَّفاءِ فلا بالمَشُوبِ وَلا بالخَلِيطِ

وحي الغروب :

نشرت فى العدد السادس من السنة الثانية من مجلة الاعتدال العراقية ، وذلك فى سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

جَنَحَتْ ذكاءِ بصَفْحَةٍ مُحْمَرَّةٍ بَعْدَ ابيضَاضِ
إنِّى إذا انْقَبَضَ النَّهَا رُ مُنِيتُ منه بانْقِبَاضِ
وَدَّعْتُهُ مُتَشَائِماً أَبْغِي السَّوادَ مِن البَيَاضِ
وكأنّنى فى وَحْدَتى مُسْتَعْرِضُ الْحِقَبِ المَواضى
وكأنّنى بين الحوا ضِرِ بَعْضُ سُكّانِ الغياضِ
لا مُجْتَلَى الأَقْمَارِ يُبْـ ـهِجُنِى ولا مَرْأَى الرِّياضِ
أَسِمُ الخُـدودَ بأَدْمُعٍ كالقَطْرِ مِن بَعْدِ ارْفِضَاضِ
ولقد تقاضَتْكَ المَسَرَّةَ* حِينَ لا يُغْنِي التَّقاضِي
أنا والسَّعادة حائِرٌ بين التَّجافى والتراضى
لو كان ما بى لَيْلَةً أو مِثْلَها هانَ ارْتِماضى
ما حِيلتى بمَعاشِرٍ تَجِدُ اللَّذاذَةَ بامْتِعاضِي
مَلأَى عَلَيَّ يَسُرُّهَا أَنِّى امرُؤٌ خالِي الوِفاضِ

ماشَتْ بأَبْدَانٍ صِحَا ... حٍ ذاتِ أَرْوَاحٍ مِرَاضِ
يَأْبَى اللَّجاجَةَ مِثْلُهُمْ ... أَدبى ويأْباهَا ارْتِيَاضِي
اَعْرِضْ عَنِ الْباغِي تَسدْ ... وتَغاضَ تَعْظُمْ بالتَّغَاضِي
خَيْرٌ مِنَ العَيْشِ المُذَمْ * مَمِ مِيتَةٌ بِشَبا المَواضِي
مَنْ مَاتَ رُدَّ لِصَحْوَةٍ ... أَو يَقْظةٍ بَعْدَ اُغْتِماض

أيدى الربيع :

من قصيدة قديمة تُعدّ من بواكير شعره

خَلَعَتْ أَيْدِى الرَّبيعِ النَّضِرِ   فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ أبْهَى الحِبَرِ
وجَلَتْ تِيجانَها زَهْرُ الرُّبَا   والنَّــــدَى كَلَّلَها بالدُّرَرِ
وانْتَشَتْ أَغْصانُها مِن أَكْؤُسٍ   طاف فيهنَّ نَسيمُ السَّحَرِ
وتَغَنَّتْ نَغَمًا أَطْيَــــارُها   فَتَشاجَرْنَ بأَعْلَى الشَّجَرِ
خَطَبَتْ قائِلَةً فى دَوْحِهَا   يافُرُوعَ الزَّهْرِ كُونى مِنْبَرِى
وبِساطُ الأَرْضِ بالنَّوْرِ حَلا   فأَزْدَهَتْ منه بِوَشْيٍ عَبْقَرِى
فكأنّ النّرْجِسَ الغضّ بها   عَيْنُ صَبٍّ بُلِيَتْ بالسَّهَرِ

رثاء

رثاء الشهداء:

ألقيت فى حفلة تأبين الشهداء التى أقيمت فى دمشق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠م وكانت أعظم حفلة عامّة أقيمت تذكاراً لشهداء عسف السياسة التركية من العرب وذلك خلال الحرب العامة الماضية؛ وقد ألقاها أديب مشهور من أدباء الشام على الجمهور المحتشد لهذه الغاية فى ساحة المرجة

مِمَّا يَرُدُّ لِيَعْرُبٍ عَلْيَاءَهَا ... ذِكْرَى الشَّآمِ وَأَهْلِهَا شُهَدَاءَهَا
يا سَادَةً أُحْصِيتُمُ فَصُلِبْتُمُ ... لَكُمُ مَزَايَا ما أَرَى إِحْصَاءَهَا
ما نَصْبُ أَعْوَادٍ لَكُمْ فى جِلَّقٍ ... مِمَّا يَشِينُ، أَلَسْتُمُ خُطَبَاءَهَا ؟
رَفَعُوكُمُ عَنْ مُسْتَوَى الأَرْضِ الَّتِي ... أَصْبَحْتُمُ تَتَوَطَّنُونَ سَمَاءَهَا
ما عُذْرُ هٰذِى الأَرْضِ فِى أَجْدَاثِكُمْ ... وَقُبُورِكُمْ أَلَّا تَكُونَ فَضَاءَهَا ؟
يَكْفِى السَّعَادَةَ وَالشَّهَادَةَ أَنَّهَا ... خُطِبَتْ فَكُنْتُمْ أَنْتُمُ أَكْفَاءَهَا
مِنْ حَيْثُ سَاءَ مُصَابُكُمْ أَنْقَذْتُمُ ... فِيهِ البِلَادَ فَسَرَّهَا ما سَاءَهَا
إِنْ غَمَّ ما كَابَدْتُمُوهُ فَطَالَمَا ... فَرَّجْتُمُ وَكَشَفْتُمُ غَمَّاءَهَا
هٰذِى الدِّيَارُ سَرَرْتُمُ أَمْوَاتَهَا ... بِجِهَادِكُمْ، وَحَرَسْتُمُ أَحْيَاءَهَا
قَالُوا: تَكُونُ فِدَاءَهُمْ أَوْطَانُهُمْ ... فَتَجَاوَبُوا: كَلَّا نَكُونُ فِدَاءَهَا

عاشَتْ دِمَشْقُ ، فأَىُّ أمٍّ قبلَهَا　　طَلبَ الفِدَاء فقدَّمتْ أبْناءهَا ؟
تبْكِيكُمُ أرْضُ الشآمِ وقد أرَى　　هٰذِى الجَدَاوِلَ دمْعَها لا ماءهَا
النِّيلُ ضَعْضعَ يوْمُكُمْ فسْطاطَهُ　　لما أتاهُ ، وَدِجْلَةُ زَوْرَاءهَا
يا نَكْبَةً دُونَ الجَزِيرَةِ أثَّرَتْ　　فى «طُورِها» وتناوَلَتْ «سِيناءهَا»
عَظُمَتْ عَلَى النّائى فكيْفَ بحالهِ　　لو كان يَشْهَدُ ما جَرَى أثْناءهَا
ما كان يَفْعَلُها الّذِى اسْتَشْفَى بكم　　لو كان يَدْرى ما تَجُرُّ وَرَاءهَا
العُصْبَةُ القاضِى عليكمْ عَسْفُها　　لَقِيَتْ بِذَلِكُمُ القَضَاءَ قَضَاءهَا
لَمْ يَكْفِها تَقْطِيعُها أرْحامَها　　مِمَّا جَنَتْهُ فقطَّعتْ أعْضَاءهَا
صِدْقُ الوَلاءِ مَحَضْتُمُوهُ عُصْبَةً　　تَخِذَتْكُمُ بِوَلائِكُمْ أعْدَاءهَا
عَجِلَتْ عَلَى صِفَةِ العِلاجِ بِقَتْلِكُمْ　　مِنْ قَبْلِ تَشْخِيصِ المُدَاوِى دَاءهَا
يا أُمَّتِى لا تحْزَنِى أوْ فاحْزَنِى　　حُزْنُ النُّفُوسِ الشُّمِّ زَادَ مَضَاءهَا
إنَّ الضَّمائِرَ والقُلوبَ إذا دَجَتْ　　دَخَلَ الأَسَى أعْماقَها فأَضَاءهَا

شهيد الدفاع :

أو الأستاذ الحبّوبى

هو السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحسنى الشهير بحبوبى النجفى الشاعر البليغ المعروف ، بَطَل النهضة العراقية المأثورة ، المتوفى عشية الأربعاء ثانى شعبان سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م فى دار الجهاد بناصرية المنتفق ، المحمول إلى النجف ، المدفون فى المشهد العلوى .

كان نهوضــه من النجف بالدعوة إلى الدفاع فى المحرم سنة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م فأجابه خلق من أهل الفرات وبقية الأقاليم الجنوبيّة سار بهم إلى الشعيبة إلى أن كان ما كان من الخذلان المعروف هناك ، فعاد إلى الناصرية ورابط فيها إلى أن مات .

عَمَّ الثُّغُورَ المُوحِشاتِ ظَلَامُ ... وَدَجَتْ لأنّكَ ثَغرُها البَسّامُ
طَوَتِ الفَيالِقُ نُــكّسًا أَعْلامَها ... إذ ليس تَخْفُق بَعْدَكَ الأعْلامُ
رابَطْتَ فى ثَغْرِ العِراقِ وثَغْرُها ... يُحْمَى الحِجازُ بسَدِّه والشّامُ
سَقَطَ الّذِى شَيَّدْتَ مِن أَرْكانه ... وأُعيدَ فيه النَّقْضُ لا الإِبْرامُ
رامَ العَدُوُّ بكَ الوُثوبَ فَأَدْرَكوا ... من غير أنْ يَتَــكَلَّفُوا ما راموا
صالَتْ على تلكَ المَنِيّةِ أُخْتُهَا ... وسَطَا على ذاكَ الحِمامِ حِمامُ
لِلّهِ تِسْــعَةُ أَشْهُرٍ مَوْصولَة ... طالَتْ عليكَ فَكُلُّ شَهْرٍ عامُ

شَهْرُ الصِّيام أَتى فَراعَكَ أَنّه ... فى ظلِّ غيرِ المُسْلِمين يُصامُ
شَهْرُ الإِطَاعةِ والعِبادَةِ خائِفٌ ... من أَنْ تُطاعَ وتُعْبَدَ الأَصْنامُ
فارَقْتَه لا ذٰلِكَ اللَّيْــلُ الّذى ... يُحْيَي ولا تِلْكَ الصَّلاةُ تُقامُ
لك فى الدِّفاع موَفَّرا أَجْرُ الأُلَى ... فى الثَّغْرِ صَلُّوا خاشِعِين وصامُوا
ما كنت تُؤْثِرُ فى جِهادِكَ لَذَّةً ... فيَسُوغَ شُرْبٌ أَوْ يَطيبَ طَعامُ
قَلِقٌ وغَيْرُكَ ساكِنٌ، ومُسَهَّدٌ ... والمُسْلِمون مُهَوِّمون نِيامُ
ما حُبُّهُمْ لك حُبُّ راجٍ حُظْوَةً ... فى الحُبِّ بل هُوَ لَوْعَةٌ وغَرامُ
عَــلِمَ الرِّجالُ الحامِلُوكَ بأَنّهمْ ... حَمَلوا الصَّلاةَ فَكَبَّروا وأَقاموا
فَعلَيْــكُما من ذاهِبَيْنِ تَحِيّةٌ ... وعَلَيْــكما من غادِيَيْنِ سَلامُ
إذ لَسْتَ وَحْدَكَ فى الحقيقةِ ذاهِباً ... طَيَّ الرَّدَى بل أنتَ والإِسْلامُ
الآنَ لَمّا غَيَّبُــوكَ تيقَّنوا ... أَنَّ الحياةَ جَميعُها أَحْلامُ
أينَ الّذى بثَباتِه ثَبَتَ الوَرَى ... وتَزَلْزَلَتْ مِنْ بَعْدِه الأَقْدامُ ؟
أَأَبا الفَرِيقِ البائِسِين كَفَلْتَهمْ ... ورَعَيْتَهمْ فإِذا هُمُ أَيْتــامُ
أَدْرَكْتَ أَنْ سَتَدولُ مِنّا دَوْلَةٌ ... وعَلِمتَ أَنْ سَتُبَدَّلُ الأَحْكامُ
وتُــكذَّبُ الآياتُ — وهى حَقائِقٌ ... مَجْلُوّةٌ — وتُصَدَّقُ الأَوْهامُ
تَرْكُ الإِقامَةِ فى المَقامِ فَرِيضَةٌ ... وتَطَلُّبُ البيتِ الحَرامِ حَرامُ

قُدْتَ القَبائِلَ بالإِمَامَةِ فِيهِمُ ... فمِن الإِمامَةِ فى يدَيْكَ زِمامُ
شافَهْتَهُمْ بالدُّرِّ وهو مَباسِمٌ ... وأَخَذْتَهُمْ بالسِّحْرِ وهوَ كَلَامُ
كَلِمٌ بها وبمُعْجِزاتٍ مِثْلِها ... تُجْلَى العُقولُ ، وتُصْقَلُ الأَفْهامُ
أَصْلَحْتَ شَأْنَهُمُ وكانوا عُصْبَةً ... لا الدِّينُ يَحْجُزُهُمْ ولا الأَرْحامُ
أَيْدٍ يُؤَثِّلْنَ الثَّنـــاءَ وأَنْعُمٌ ... لكَ فى رِقابِ المُسْلِمِين جِسامُ
خَلَّدْنَ ذِكْرَكَ ليس تُدْرِكُ ثُلْمَةً ... منه السِّنُون الغُبْرُ ، والأَعْوامُ

رثاء أستاذ :

من قديم شعره سنة ١٣٢٩ هـ = ١٩٠٧ م

يا مُثْقِلَ النَّاسِ أَكْتَافاً بنائلِهِ ... خَفَّتْ بحَمْلِكَ — لا خَفَّتْ — أَيادِينا
أَما دَرَى نَعْشُكَ العالِي سَنَرْفَعُه ... على العُيون إذا كَلَّتْ هَوادِينا
هٰذِى قَضاياكَ دِيْنَ الْحَقِّ غامِضَةٌ ... فمَنْ يُقِيمُ عليهِنَّ البَراهِينا ؟
ومَن يُنَسِّقُ عِقْداً مِن جَواهِرِها ... ومن يُقَنِّنُ فيهِنَّ القَوانِينا ؟
قالوا: الصَّباحُ به المَسْرَى، وما عَلِموا ... — يا صُبْحُ — أنّك بالأَرْزاءِ تَأْتِينا
فأَصْبَحتْ لا الجبالُ الشُّمُّ مُسْرَجَةً ... لنا خُيولًا ولا الدُّنْيا مَيادِينا
أَضْحَى المُجاهِدُ يَدْعو: أَين قائِدُنا؟ ... وطالِبُ العِلْمِ يَدْعو: أَيْنَ هادِينا ؟
عَجَّلْتَ يا دَهْرُ بالصَّمْصامِ تَثْلِمُه ... ما كان ضَرَّكَ لو أَمْهَلْتَهُ حِينا ؟
بُعْدًا ليَوْمِكَ، لا كانت صَبِيحَتُه ... ولا دَجَتْ بَعْدَه إلّا لَيالِينا
يَوْمٌ أَطَلَّ على الدُّنْيا فأَذْهَلَها ... وأَصْبَحَ العالَمُ الأَرْضِيُّ مَفْتونا
صِحْنا عليكَ به حُزْناً، وآنَسَها ... فاسْتَبْشَرَتْ فَرَحاً فيه أَعادِينا
يا شارِباً مِن حِياضِ الخُلْدِ كَوْثَرَها ... سَقَيْتَنا الوَجْدَ غَسّاقا وغِسْلِينا
لَمْ أَدْرِ احَيَّرْتَ فِكْراً أَنتَ مُرْشِدُه ... مِن أَيْنَ كَوَّنَكَ الْجَبّارُ تَكْوِينا ؟

أظنُّه صَنعَ الإيمانَ جَوْهرَةً ... فكُنْتَ ذلك لاماء ولا طِينا
إنِّى تحيَّرْتُ ، ما أدْرِى ؟ أأنْدُبُه ؟ ... أمْ أنْدُبُ السَّلَفَ الغُرَّ المَيامِينا ؟
أرْثِى به العُلَماءَ السَّابِقِين له ؟ ... أرْثِى الأَئمةَ ؟ أمْ أرْثِى النَّبِيِّينا ؟
قُلْ لِلمَسَاكِين: مُوتوا بَعْدَ كافِلِكُمْ ... وقُلْ: بَنِى العِلْمِ أصْبَحْتُمْ مَساكِينا
إذا تَدَانَوْا وقُلْنا : قومُنا اتَّفَقوا ... (أضْحَى التَّنائِى بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينا)
يارَبِّ فاجْعَلْ عُرَا الإسْلامِ مُحْكَمَةً ... وهَبْ له منك تَعْزِيزاً وتَمْكِينا

متفرقات

ذكرى شاعر :

تليت فى مهرجان المتنبّى الذى أقيم فى دمشق الشام
سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م

يا قلبُ عادَكَ من دِمَشْقٍ عائدُ ... والذِّكْرَياتُ مِنَ الْحَبيبِ تُعاوِدُ
أَيَّامَ نَنْشُدُ فى الجَزيرَةِ غايَةً ... يَسْمُو بِفِكْرَتِهِ إِلَيْهَا النَّاشِدُ
ما بَيْننا إِلّا شَبابٌ طَامِحٌ ... أَوْ ثَائِرٌ ، أَوْ نَاقِمٌ ، أو واجِدُ
سَرَّ الفُرَاتَ وسَرَّ دِجْلَةَ بَعْدَهُ ... نَبأٌ عَلَيْهَا مِنْ دِمَشْقٍ وَارِدُ
قالوا : غَدَاةَ غَدٍ يُقَامُ لأَحْمَدٍ ... فى قَلْبِ « جِلَّقَ » مِهْرَجانٌ حَاشِدُ
رُعِيَ الذِّمَامُ ، وَمَا أُضِيعَ بِبَلْدَةٍ ... فِيهَا لِأَحْمَدَ جِيرَةٌ وَمَعَاهِدُ
وأُعِيدَ مَشْهَدُهُ وقَلَّ لِمَنْ لهُ ... دُونَ الثُّغورِ مَوَاقِفٌ وَمَشَاهِدُ
وَمَنازِلٌ فيها الأَمانِى كلُّها ... وَهَوَى الأَحِبَّةِ والشَّبابُ المائِدُ
وَمَحَافِلٌ يَبْدُو إِمَامٌ عالِمٌ ... منها يُطَارِحُهُ أَمِيرٌ ماجِدُ
يَتَذَلَّلُ « الرُّومِيُّ » فِيها قائماً ... « والتَّغْلِبِيُّ » على يَفَاعٍ قاعِدُ
وقصائِدٌ فِيهَا البُحُورُ جَحَافِلٌ ... وجَحَافِلٌ فيها الفُتوحُ قَصَائِدُ
ولقدْ تَحِنُّ إلى الكِفَاحِ رُفَاتُهُ ... بَطَلٌ تَنَاذَرُهُ الكُمَاةُ مُجَاهِدُ

خَيْرُ النَّوابغِ مَنْ أَجدَّتْ ذِكْرَهُ ... وتَعهَّدَتْهُ أَقَارِبٌ وأَباعِدُ
وتَسَالَمَتْ أَنَّ الزَّعامَةَ حَقُّهُ ... فى المُبْدِعِينَ مَذاهِبٌ وَعقَائِدُ
أَمَّا المَذَاهِبُ فهىَ شَتَّى لَمْ تَزَلْ ... لٰكِنَّمَا الوَطَنُ المُفَدَّى واحِدُ

* * *

خَلَتِ العُصُورُ وماخَلَتْ مِنْ نَاقِلٍ ... أو قائِلٍ : هـذا الحكِيمُ الخالِدُ
أو مُورِدٍ لِلْقَوْلِ فيمَنْ حَيَّرَتْ ... منهُ الفُحُولَ مَصَادِرٌ وَمَوَارِدُ
ما العَبْقَرِىُّ الفَذُّ إلّا فِكْرَةٌ ... إنْ مَاتَ عَاشَ بِهَا الرَّمِيمُ الهامِدُ
وإذا تَأمَّلْتَ الخُلودَ أَصَبْتَه ... فى الصَّالِحاتِ وحَيْثُ يَفْنَى الفاسِدُ
لا بُدَّ مِن نَقْدِ الزَّمانِ فإنّما ... نحن المَعادِنُ ، والزَّمانُ الناقِدُ
حَسَدوا النُّبوغَ وناوءوهُ فلَمْ يَمُتْ ... بل مات بالداءِ الدَّفِينِ الحاسِدُ

* * *

ياشاعِرًا قادَ القُلوبَ لِغايَةٍ ... لم يَدْنُ منها شاعِرٌ أو قائِدُ
قَرَنُوا بكلِّ مُفَوَّهٍ شَيْطانَه ... أمَّا قَرِينُكَ فالعَظِيمُ المارِدُ
أَمْتَعْتَنا بذَخائِرِ الشِّعْرِ الّذى ... لولاه ما نُبِذَ المَتاعُ الكاسِدُ
نُشِرَتْ به فى كلِّ فَجٍّ حِكْمَةٌ ... وتُمُوطِىَ المَثَلُ البليغُ الشَّارِدُ
سَهْلٌ عليكَ ، أَبِيَّةٌ أَلفاظُه ... ولغاتُه ، فهو الأَليفُ الآبِدُ

* * *

يامَوْسِمَ الأَدَبِ الْجَمِيلِ رِسالَةً لِذَوِيكَ يَحْمِلُهَا البَرِيدُ الواخِدُ
عُودوا إلى الماضِي فإِنْ عُدْتُم له مُسْتَلْهِمِينَ فثَمَّ مَجْــدٌ عائِدُ
لِلْبَــذْرَةِ الأُولَى يَدٌ مَحْمودةٌ لا تَجْحَدُوها فالشَّقِيُّ الجاحِدُ
والكَوْنُ ، مُزْدَرَعٌ فجِيلٌ حارِثٌ فاتَتْه بغْيَتُه ، وجِيــلٌ حاصِدُ
أَعْيــادُ (أَحْمَدَ) للنُّهوض عَلائِمٌ وعلى الحياةِ أَدِلَّةٌ وشَواهِدُ

نفثة مصدور :

بعث بها إلى صديق له ، وهى من أقدم شعره

وما أَهْوَنَ الخَطْبَ الَّذى يَسْتَفِزُّنى ... لو أَنَّكَ فى جَنْبِى أَبُثُّكَ ما أَرْعَى

رِياءً وكِذْباً وانْقِباضًا وَحِشْمَةً ... خَلائِق ، مِثْلِى ضاقَ عن مِثْلِها ذَرْعا

ومَشْرَعَ ضَيْمٍ لستُ أَرْضاه مَوْرِداً ... ومَرْتَعَ ذُلٍّ لستُ أَقْبَلُه مَرْعَى

وأَشْقَى الوَرَى مَن يَطْلُبُ السَّعْىَ لِلْعُلاَ ... وَيَمْنَعُه صَوْتُ الجَهالَةِ أَنْ يَسْعَى

إذا رام أن يَسْتَشْرِفَ الأُفْقَ طائِرًا ... هَوَى صاغِراً ، أو رامَ أن يَسْتَوِى أَقْعَى

عطر :

مما لم يسبق نشره من شعره

هى عُطْلَةٌ أكِنُّها في البالِ كَدٌّ مُسْتَمِرْ
والكَدُّ مِنْ عُطْلِ الفتَى - إلا إذا أجْدَى — أمَرُّ
ما ضاعَ في الحالَيْنِ لى وَقْتٌ ، بَلَى قد ضاعَ عُمْرُ
شَرٌّ مِنَ الحالِ الَّتى شاهَدْتُ أنَّ الغَيْبَ شَرُّ
وأضَرُّ أنّك لا تَرَى فِيمَنْ تَرَى مَن لا يَضُرّ
كَمِن الفَسادُ كأنَّه في النَّاسِ طَبْعٌ مُسْتَقِرُّ
قالوا : تَحامَى الشِّعْرَ مَنْ نَفَثاتُه أَدَبٌ وشِعْرُ
وقَسا فلا يَعتادُه ذِكْرٌ وبَعْضُ الحُبِّ ذِكْرُ
وصَحا فزَالَتْ نَشْوَةٌ عمَّنْ صَحا ، وانْجابَ سُكْرُ

التكريم المصطنع :

اتفق له نظمهما عندما طلب إليه إبداء رأيه فى إقامة مهرجان لأحدِ أئمة الأَدَبِ العربى القديم

أيَصِحُّ مِنّا أنْ نُكَرِّمَ نابغًا قَدْ صارَ فِى الماضِى السَّحِيقِ رُفاتَا ؟
هَيْهَاتَ ، لَيْسَ يَصِحُّ ذَا مِنْ مَعْشَرٍ سِيَّانِ عَاشَ أَدِيبُهُمْ أَوْ مَاتَا

وله فى المعنى نفسه :

قدْ أَقامُوا ، أَو حاوَلُوا أَنْ يُقِيمُوا حَفْلَةً يَخْطُبُونَ فيهَا مَلِيًّا
ليس يُجْدِى إحْيَاءهُمْ ذِكْرَ مَنْ مَا تَ شَهِيداً وقد أَمَاتُوهُ حَيًّا

بينه وبين مصباح رمضان :

كان قد بعث إليه الأديب الشاعر مصباح رمضان البيروتى بقصيدة من صَيْداء إلى دمشق مطلعها :

أَعَدْتُ شَبِيبَتِي بَعْدَ المَشِيبِ　　بِصَيْدَا فى لِقَاء (رِضَا الشَّبِيبِى)

فبعث إليه بهذين البيتين :

لقد أَهْدانِىَ المِصْباحُ شِعْراً　　وَقَلَّدَنى من النَّظْمِ العَجِيبِ

مَصابِيحُ العُيونِ لها انطِفاءٌ　　ولٰكنْ أنتَ مِصْباحُ القُلُوبِ

فهرست القوافى الواردة فى ديوان الشبيبى

مرتَّبة على حروف المعجَم

« ا »

« س »

« ش »

« ض »

« ط »

« ع »

« ف »

« ق »

« ك »

صفحة

« ل »

« م »

« ن »

« و »

« ى »

« تم فهرست القوافى »

فهرست الأبواب الواردة فى ديوان الشبيبي

صفحة